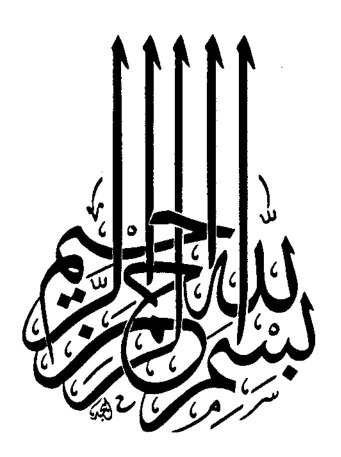
حمد بن عبدالله القاضي

رؤية حول تصحيح صورة بلادنا وإسلامنا

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م



في البدء نور

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة : آية ٨)

موضوعات الكتاب:

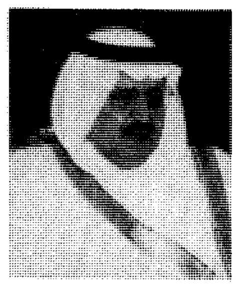
م	الموضوع	صفحة
١	في البدء نور	٥
٢	إهداء	٩
٣	المقدمة لسمو الأمير نايف بن عبدالعزيز	١١
٤	إضاءة بين يدي هذه الرؤية	١٥
٥	المسلمون والأحداث الأخيرة	١٩
٦	نماذج من هذه التهم	٢٣
٧	بين التدين والتطرف	٢٩
٨	من الداخل تبدأ الخطوة الحاسمة لجلاء الصورة	٣٣
٩	الإسلام ومحاربة الإرهاب	٤٣
١٠	فرية الوهابية والشيخ ابن عبدالوهاب يرد بنفسه	٤٩
١١	الإسلام والتعددية	٥٥
١٢	سماحة الإسلام	٥٩
١٣	الإسلام واحترام الإنسان	٦٥
١٤	نماذج من سماحة علماء الإسلام	٧١
١٥	مناهجنا المتّهمة البريئة	٧٩

م	الموضــــوع	صفحة
١٦	العمل الخيري الإسلامي والاتهام بالإرهاب..........................	٨٥
١٧	اتهام الإسلام بتهميش المرأة المسلمة.............................	٩٥
١٨	بعض الآليات لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين	١٠٣
١٩	وفي الختام نور..	١١٢

إهـداء.................

* إلى الأمير نايف بن عبدالعزيز
رجل الحاءات الثلاث...
«الحلم والحكمة والحزم»
بصفته أولاً مواطناً مهموماً بشؤون
وطنه المملكة العـربية السـعودية،
ثم بصفته مسـؤولاً واعياً لشجون
أمته العربيـة والإسـلامية *

مقدمة الكتاب



بقلم الأمير : نايف بن عبدالعزيز آل سعود (*)

الحوار فضيلة ليس مع الآخرين البعيدين فقط ، بل ومع الأقربين ، إنه فضيلة آمن بها الإسلام ودعا إليها وحث عليها رسول الإسلام . عليه أفضل الصلاة والسلام - .

والحوار المجدي هو الذي يكون بين " الفكر" و" الفكر" ، وليس هناك وسيلة تصحح الأخطاء وتقرّ الصواب مثل " الحوار " والمجادلة بالتي هي أحسن .

ولعل هذا الكتاب الذي ألفه الأخ/ حمد القاضي في إطار محاورته ورؤيته لفكر الآخر البعيد ، وفكر الآخر القريب ، أن يسهم في تعزيز منهجية الحوار المستنير.

لقد سعدت بقراءة محتوى هذا " الكتاب " الذي اجتهد مؤلفه في إعداد مضمونه.

إن هذا الكتاب - على اختصاره - نامل أن يكون مساهمة مباركة في دفع" التّهم " التي طالت بلادنا وأبناءها مثل اتهام بلادنا بالإرهاب بسبب مناهج تعليمنا أوبسبب الخير الذي ينبع من بلادنا ، أو بسبب اتهام أفراد دفعوا للمشاركة في أحداث أمريكا الإرهابية أو بسبب قيام شرذمة قليلة ممن غُرِّر بهم من أبناء هذه البلاد باعمال إرهابية في بلاد

(*) وزير الداخلية بالمملكة العربية السعودية .

الحرمين الشريفين ، لكن الحق أن هؤلاء الأفراد المعدودين الذين تمت مواجهتهم وسوف تستمر هذه المواجهة للقضاء على فلولهم بكل حزم إنما هم شاذون مجرمون خارجون على سماحة ديننا ، ونهج بلادنا المعروف بالاعتدال ومكافحة الإرهاب وقد تم استخدام هؤلاء " أدوات " للقيام بأعمال إرهابية خارج بلادنا وداخلها مع الأسف والأسى الشديدين ، ولم ينتج عن ذلك إلا الإساءة للدين الذي ينتسبون إليه، والوطن الذي وفّى لهم ولم يفوا له بل أساؤوا إليه .. إني ألفتُ النظر إلى حقيقة مهمة ألا وهي: أن الخطر سوف يبقى مادام الفكر المنحرف موجوداً ، ومواجهة وبيان خطأ وخطورة الفكر هي أولاً مسؤولية العلماء والمفكرين والمثقفين ، والمؤسسات التعليمية والإعلامية ، - وبالتالي - مسؤوليتنا جميعاً بصفتنا مسلمين ، لتبرئة الإسلام وإنقاذ شباب المسلمين من هذا الفكر المنحرف .

إن هذا الكتاب يتناول آثار الأحداث الأخيرة على عقيدتنا وبلادنا بعرض جيد وطرح هادئ مدعوم بنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف وآراء العلماء وشواهد التاريخ ، كما يحْمل رسالة توعية واضحة وبالغة الأهمية في هذه الظروف إلى شباب بلادنا وشباب الأمة الإسلامية لفهم دينهم فهماً سليماً وعدم الانخداع " بالفكر المنحرف " الذي يدمرهم ، ويضر إسلامهم وأوطانهم ، إن ديننا وبلادنا وأمتنا بحاجة إلى طرح ونشر مثل هذه الأفكار المدعمة بالنص الثابت ، والحقيقة الناصعة ، وبمثل هذا نستطيع أن نكشف جوانب العظمة والتسامح في عقيدتنا ، ونستطيع أن نرد ونفند التهم التي يوصم بها ديننا وتنال من وطننا ، ولعلها تسهم في كشف

الغشاوة عن عيون الآخرين خارج أوطاننا وعن عقول المخدوعين بل المغسولة أدمغتهم من أبناء أمتنا .

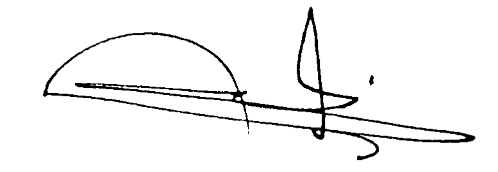
ما أحرى المسلمين وغيرهم أن يدركوا حقاً أن الإسلام هو أعظم دين نشر وحض ودعا إلى " التسامح " و " التعايش " مع الآخرين مواطنين أو غير مواطنين ، مسلمين أو غير مسلمين وليس هذا رأيي أو قولي بل هذا نهج الإسلام ، إنه داعية الوئام بنص تعاليمه .. وقد تحدث المؤلف في هذه الناحية حديثاً مفيداً وموثقاً، وإنني أضرب مثلاً يحضرني الآن في هذه المقدمة القصيرة، ذلك أن الله سبحانه دعا نبيه موسى وأخاه هارون للحوار مع فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ومع كل ذلك فقد قال الله لموسى وهارون : ((فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)) - {سورة طه آية : ٤٤ } - هل أعظم من هذه السماحة والدعوة للحوار في الإسلام والبعد عن القسوة والعنف والإرهاب حتى مع ذلك المرء الذي نازع الله - سبحانه - في وحدانيته وألوهيته وربوبيته .

• إنني أدعو إلى قراءة هذا الكتاب وبخاصة الآباء والمربون ، وأتوق أن يحثوا أبناءهم وطلابهم على قراءته وقراءة كل كتاب يكشف سماحة الإسلام بوعي وعلم ، وقد اقترحت على الكاتب الكريم أن يقوم بترجمته إلى عدد من اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية وإلى اللغات التي يتحدث بها المسلمون مثل الأوردية وغيرها ، إن الباحثين عن الحقيقة في الغرب والشرق سوف يجدون الحقائق ماثلة أمامهم عن سماحة إسلامنا عندما يقرؤون تعاليم " الإسلام " قراءة صحيحة فيرون إيمانه بالحوار ودعوته للسلام مع الآخرين وصيانته للأرواح

والأعـراض والممتلكات ، كـمـا سوف تتكشّف عند ذلـك لعدد كـبيـر من المسلمين وشبابهم الصورة التسامـحية لإسلامهم ، وسوف يدرك بعض المغـرر بهم أن الإسلام هو دين الحـوار والسـماحـة ، وليس دين الغلو والقـسـوة ويكفي دليـلاً على ذلك أن الله قـال لرسـوله عليـه الصـلاة والسـلام : ﴿ فبـمـا رحمـة من الله لنت لهم ولو كنت فـظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ - [سورة آل عمران آية: ١٥٩] - ، وبمثل هذه الرؤية الواضـحة من قـبلنا نحن المسلمين - أولاً - ورؤية الآخـرين لنا على بصيرة ثانياً ، نستطيع كمجتمعـات إسلامية ومجتمعات عالمية أن نعيش في أوطان آمنة يظللهـا الأمن بمختلف أشكاله وتسودها مـفاهيم التعايش وروح التسامح فنَسعد وتَسـعد الأجيال القادمة في هذا العالم المتشابك .

وفق الله المؤلف الكريم وكل مثقف يعي مسؤوليته ويوظف معرفته لخدمة بلاده وعقيدته وأبناء أمته .. والله ولي التوفيق .

نايف بن عبدالعزيز



إضاءة بين يدي هذه الرؤية

منذ تداعيات الحادي عشر من سبتمبر، وصورة وطني وأمتي تشغلني وتشاغلني كثيراً كما تشاغل الغيورين من أبناء هذا الوطن وهذه الأمة.

وقد ضاعف تشويه هذه الصورة، تلك الأعمال الإرهابية التي نفذها شباب نشاز ضال من بلادي الغالية في الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤٢٤هـ في عاصمة المملكة العربية السعودية مهبط الوحي وموطن العروبة.

لقد رأيت في هذه الصورة كثيراً من الظلم والضيم لنا عقيدة وإنساناً.

والمؤلم أنه لم يعد تأثير هذه الهجمة الإعلامية على الآخر فقط بل - وهذا هو ما يؤرق أكثر - إنها زلزلت قناعات ويقين جماعات من أمتنا بثوابتهم وأوطانهم ومستقبل أمتهم.

ولقد أقضني أن خطابنا الإعلامي في عالمنا العربي والإسلامي لم يرق إلى مستوى هذا التحدي الذي واجهنا أو بالأحرى جابَهنا به الإعلام الغربي في تشويه لديننا وهويتنا عمداً في أكثر الأحيان وجهلاً آونة أخرى وقد كان لذلك أبلغ الضررعلى الإنسان العربي والمسلم، وقبل ذلك وبعده كان له شديد الأثر على تشكيل الرأي العام في الخارج نحونا.

لقد وصل الأمر بهذه الحملات الإعلامية الأجنبية أنها مست وشككت في ثوابتنا وإنساننا ووحدتنا الوطنية، وتماسك جبهتنا الداخلية.

ومن هنا يأتي خطرها وخطورتها وضرورة مواجهتها بمختلف وسائل الرأي وقنوات الإعلام، ومنابر الاتصال.

إن الإعلام ـ مع نظيره ـ الاقتصاد هما من يقودا العالم، وهما ذوا الأثر الأكبر على حياته وتوجهات إنسانه ـ كما قال سمو الأمير نايف ابن عبدالعزيز وزير الداخلية بالمملكة العربية السعودية : « إن من يملك هذين الأمرين الخطيرين الفاعلين يمتلك زمام القوة والتأثير في هذا الوجود».

من هنا جاءت هذه «الرؤية» إسهاماً في طريق تصحيح هذه الصورة، ولمواجهة تلك الصورة المعتمة التي رسمها ذلك الإعلام، والتي نالت من سماحة الإسلام وشموخ الوطن من خلال نظرة قاصرة حيناً ومقصودة أحياناً، حكم فيها ومن خلالها الآخرون علينا بوحي من تصرفات أفراد شاذين لا يمثلون نهج وطننا، ولا منهج ديننا بل هم شذوذ يؤكد سلامة النهج والمنهج معا !.

إننا لسنا بدعاً في الأمم.. فنحن منا المعتدلون المستقيمون على المنهج الصحيح ومنا ـ مثل غيرنا ـ دون ذلك طرائق قِدَدًا.

لقد جلست خلال الفترة الماضية إلى هذه «الرؤية» متأملاً فيها جوانب عديدة مطروحة، ومتناولاً فيها آليات مختلفة لتنفيذها، وقد اجتهدت فيها من منطلق توجّهي العلمي، واستناداً إلى خبرة عملية في الشأن الإعلامي أزعم أنها أفادتني كثيراً في هذه «الرؤية الواقعية» التي ابتعدت فيها عن التنظير واتجهت من خلالها إلى منطلقات واقعية سواء في تشخيص جوانب هذه الصورة المعتمة، أو في مناحي كشف سماحة الإسلام ووحدة هذا الوطن، وقد حرصت على اختزالها واختصار كثير من مناحيها لتيسير قراءتها والإفادة منها من قبل

القارئ البسيط إلى صانع القرار.

ولعل من يتصدى لشرف الدفاع عن هذه العقيدة وهذا الوطن يفيد منها سواء في الخطاب الإعلامي الوطني أوالإسلامي أو في الخطاب الموجه إلى الآخرين وقد دونت بعض المنطلقات الإعلامية والفكرية التي تساعد في التصدي لهذا التحدي ولهذه الحملات، لعلنا ننهض جميعاً بعمل جاد يرقى إلى مستوى هذا التحدي إبراءً للذمة وإسهاماً في تبديد عتمة هذه الصورة حول وطننا وأمتنا عن طريق بلورة الخطاب الإعلامي التسامحي القادر على مخاطبة كافة ألوان الطيف الغربي سواء السياسي، أو الثقافي أو الإعلامي، ويكون - في الوقت نفسه - معتمداً على مرجعية نصوص دستورنا وعلى تاريخ تعامل أمتنا مع الطرف الآخر وحضارته على مدى القرون الماضية.

لقد كنت أنوي إلقاء هذه الرؤية في أحد الملتقيات الإعلامية التي طلبت مني المشاركة في أحد مناشطها المنبرية ولكن لم أتمكن من ذلك بحكم عامل الوقت وأبقيتها عندي، ثم اقترح عليّ أحد زملائي في مجلس الشورى بعد أن اطلع على مسودّتها أن أقوم – وبوحي من حسن ظنه بي وبهذه الرؤية - بطباعتها في «كتيب» لعله يصل إلى أكبر قدر ممكن من المثقفين والغيورين على هذه الأمة، وإلى الآخرين المتحاملين قصداً أو جهلا بعد الترجمة.

ومن باب إزجاء الفضل لأهل الفضل فإنني أخص بوافر الامتنان رجلين عزيزين من رجالات هذا الوطن وهما مثقفان واعيان قبل أن يكونا مسؤولين كبيرين أولهما سمو الأمير «الحكيم» نايف بن عبدالعزيز الذي تكرم بقراءة مسودة الكتاب، وأبدى بعض الرؤى التي أثْرَت الكتيب ثم تفضل عليّ بكتابة مقدمة له قناعة منه برسالته التي

تحملها سطوره، وقد حثني - رعاه الله - على سرعة طباعته ونشره لملاءمة موضوعه في هذه الفترة التي تمر بها أمتنا، والرجل الثاني هو معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر الذي اطّلع على الكتاب بعد أن استقر رأيي على طباعته وقد أنارني - أنار الله بصيرته - بما يراه من ملحوظات عليه، كما لا أنسى فضيلة الشيخ عبدالله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية الذي قرأ مسودة هذا الكتاب، وأفادني ببعض ملحوظاته وهو من هو في علمه وسماحته، وهناك أخوة آخرون تكرموا بقراءة أصل هذا الكتاب قبل طباعته، واستفدت منهم كثيراً.

وبعد :

إنني بقدر ما أقدم هذه «الرؤية» للآخر الذي يكيل لنا التهم فإنني - في الوقت ذاته - أقدمها لأبناء أمتي وبخاصة المعنيون برد هذه التهم ودفعها سواء كانوا في موقع القرار، أو في ميدان التعليم أو الدعوة والإعلام، سائلاً الله أن ينفع بها.

حفظ الله أوطاننا وإسلامنا..

المؤلف

حمد بن عبدالله القاضي
المملكة العربية السعودية - الرياض العزيزة
١/٨/١٤٢٤هـ - ٢٧/٩/٢٠٠٣م

المسلمون والأحداث الأخيرة



... الأحداث التي مـرت على أمريكا، والتي تمت على أيدي فئـة شاذة من شباب المسلمين غيّرت ــ مع الأسف ــ كثيراً من صورة المسلمين وتعاليم إسلامهم بسبب فـئة من أبنائهم، أساءت إلى تعاليم الإسلام وإلى تسامح المسلمين بمثل ما أساءت إلى الآخرين.

لقد أثّرت على صورة المسلمين والتعامل معهم.

وشوهت صورة الإسلام الصحيح، وجعلته متّهما بالإرهاب، والمسلمين بالتطرف.

واضرت بالجاليات الإسلامية في الغرب.

وأثرت على انتشار الدعوة الإسلامية.

بل أصبح العمل الإسلامي الخيري متهماً بالإرهاب.

بل إن المناهج التعليمية في الدول الإسلامية أضحت متهمة بتخريج الإرهابيين.

ولقـد كان أكـثـر المتضـررين بلادي «المملكة العـربيـة السعـودية»، وشعبها حفظها الله وحفظ شعبها وحمى أرضها وأمنها.

ثم أعقبت أحداث أمريكا الإرهابية التفجيرات الإجرامية التي وقعت في كل من الرياض والدار البـيـضاء على أيدي شـرذمة مـحـسوبين على العـرب والمسلمين مما فاقم تشويه صورة أمتنا وبلادنا.

لقـد جـعلت هذه الأحـداث الغرب يـحكم - بكل أسف وأسى - على الإسـلام والمسلمين من خلال فـئات متطـرفة بعيـدة عن النهج

الإسلامي السليم ، مارست الإرهاب في بلادها وفي بلاد الآخرين .

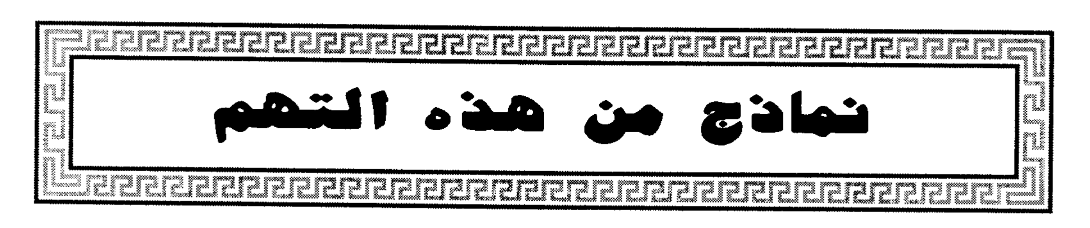
ومن هنا فإن علينا جميعاً ، وبخاصة مثقفو الأمة وإعلاميوها ، وقبل ذلك صناع القرار فيها - أن نتصدى بحزم إلى هذه التهم الخطيرة .

لقد مست هذه التهم أوطاننا ودينتا ..

لم تكن الآلة الإعلامية التي توجِّه الصهيونية الحاقدة أغلب طروحاتها تدندن - كما كانت قبل الحادي عشر من سبتمبر- حول بعض عاداتنا.. ومؤسساتنا المدنية وما شابه ذلك ، بل تجاوز ذلك إلى المسّ بثوابت ديننا ، ووحدة وطننا ، وهذان أمران لا مساومة عليهما مهما كلف الأمر كما قال أحد قادة أمتنا صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد بالمملكة العربية السعودية .

لكن ما هو دورنا لتصحيح هذه الصورة ؟

إن من أهم الوسائل التي يجب علينا أن نسلكها هي أن نوضح ملابسات وأبعاد القضايا والتهم التي كانت أحد أهم أسباب اتهام الإسلام بالغلو والمسلمين بالإرهاب وهذا - في المقام الأول - هو رسالة أهل العلم والرأي ، وهو دور وسائل الإعلام وواجب المؤسسات الإسلامية الحكومية والمؤسسات الإسلامية الشعبية .



نماذج من هذه التهم



وهذه نماذج من بعض التهم الملحة والإشكاليات المهمة حول الإسلام والمسلمين المطروحة في وسائل الإعلام الغربية خلال الفترة الماضية والتي لا يزال الإعلام الغربي يتناولها وعلينا أن نقوم بتوضيحها وكشف رؤية الإسلام حولها .

- مفهوم أن الإسلام يحث على الوصول إلى أهدافه باية وسيلة ، إن علينا هنا أن نكشف أن الإسلام لا يؤمن بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» بل يرى أن الوصول إلى الغاية لا بد أن يكون باسلوب صحيح .. بل إن أهم غاية للمسلم نشر الإسلام ومع ذلك فالقرآن أمر أن يكون ذلك بالاسلوب الحضاري فقال تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥]
- علينا أن نوضح أن الإسلام أمر المسلم أن يتعامل مع الناس بالحسنى حتى في نطاق الحديث والكلام معهم فقال تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٣].
- التركيز على أنه لا يجوز الحكم على الإسلام أو المسلمين من خلال تصرفات وانحرافات وإرهاب أفراد محدودين " فالتعميم لغة الحمقى " كما يقول أحد المفكرين الغربيين ولكن ـ مع الأسف ـ إعلام الغرب وكثير من مؤسساته حكمت على الإسلام والمسلمين من

خلال أفـراد لا يشكلون شيئـاً في تعداد المسلمين ، وهذا الفـعل النادر والشاذ من قـبل أفراد مـسلمين معـدودين يجب ألا يحسب على المسلمين بالجـملة ، بل إن مثل هذه الأعمال الخاطئة هي انحراف عـن تعاليم الإسلام وقيمه التي تحـرم حـتى مـجـرد إيـذاء الآخـرين حـيث يقـول الرسول ــ عليه الصلاة والسـلام ــ ﴿ من آذى ذمياً فقد آذاني ﴾ فـهل أبلغ من هـذا الاحـتـرام للإنســان ، وعلى الغـرب وعلى الآخرين أن يـدركوا أن الشـذوذ والتطرف موجودان في كل دين وفي كل مـلة وفي كل ثقافة ولدى كل شعب في هذه الدنيا .

إن في كل مـجتـمع هناك أناس شاذون وسـفهـاء .. ولعل ديننا هو الوحـيد الذي ورد فـــي نص دستوره " القـرآن الكريم " ما ينص على عـدم احتـساب أعـمال السفهـاء في مجتمع المسلمين عليهم فقـد جاء في القرآن الكريم : ﴿ أتهلكـنا بما فـعل السـفـهـاء منا ﴾[سـورة الأعراف آية : ١٥٥].

إن علينا وعلى الغرب أن نـفوت الفرصة على أمـثال هؤلاء الشاذين المحسوبين على المسلمين الذين من ضمن ما يهـدفون إليه إساءة عـلاقة الدول الإسلامـية بالدول الغربية ، وتفـويت هذه الفرصة عليهم أكـبر هزيمة لهم

ولفكرهم المنحرف وأعمالهم الإرهابية سواء في بلادنا أو بلادهم .

- فيما يتعلق بالعمل الخيري الإسلامي ، ومؤسسات المساعدة والإغاثة الإسلامية يجب العمل على توضيح أهداف هذه المؤسسات الخيرية وبُعدها عن مساندة الإرهاب ، فهي لا تهدف إلا إلى تقديم المساعدات الإنسانية للمسلمين وحتى لغيرهم ، والتأكيد من جانب آخر على أن هذه المؤسسات الخيرية أضحت - في بلد مثل المملكة العربية السعودية - تحت إشراف الحكومة للمراقبة والتأكد من توجه تبرعاتها وصدقاتها إلى سبل الخير بعيداً عن أية شبهة أو توجه خاطئ في عملها أو تبرعاتها .

- وسوف يأتي الحديث عن هذه التهم بشكل أوسع في فصول هذه الرؤية، وسوف أعمد في حديثي عنها ونفيها إلى المنطق المستند على النص والحق بحول الله .

بين التدين والتطرف



التدين هو الفطرة التي فطر الناس عليها فمنهم من ضل ومنهم من اهتدى .

بينما التطرف والغلو - كما يطلق عليه في أدبيات الشرع الإسلامي - شذوذ عن منهج التدين السليم فالله يقول في دستور المسلمين ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٧] ، ورسول الإسلام يقول بصريح القول : ﴿ إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو بالدين ﴾ .

من هنا فإن على وسائل الإعلام الغربية أن تفهم أن هناك بوناً شاسعاً بين الاعتدال في الدين والتطرف فيه ، يقول السفير السعودي في دولة الكويت أ. أحمد بن حمد اليحيى في بحث نفيس عن الغلو والتطرف من منظور اجتماعي : " يجب عدم الخلط بين التمسك بالدين الحنيف والالتزام بأركانه وبين الغلو والتطرف فيه ، فالأصل هو التمسك بالدين وتعاليم الشريعة السمحاء قولا وفعلا ، وهو واجب كل مسلم ، فالجميع أهل دين وعقيدة وإسلام ولله الحمد ، ولكن الفرق بين هذا وذاك هو الاعتدال والوسطية في الدين أو الغلو والتطرف فيه " .

هذه الحقيقة الناصعة التي يلزم مفكري الأمة الإسلامية وإعلامييها توضيحها لمفكري ووسائل إعلام الغرب وبخاصة بَعد " التشويش " الذي حصل بسبب أحداث ١١ سبتمبر في أمريكا والأحداث التي تلتها في العالم الإسلامي ، منطلقين من قول رسولهم عليه السلام

في أحـد مـسلمـات هذا الدين وثوابتـه : ﴿إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدينَ أحد إلا غلبه ﴾ .

فاين دين اليسر من التطرف والغلو أو الإرهاب ؟ .

إن هذه حـقيـقة الإسـلام – لمن كـان له قلب أو ألقى السمع وهو شـهيد – دين بعـيد عن التطرف أو الإرهاب بل هو دعوة للحياة وإعـمار الأرض من قبل هذا الإنسان الذي جعله الله خليفته فيها .

ولو نظر الآخرون والمهتمـون إلى تجارب التنمية في بعض الدول الإسلامية مثل " المملكة العربية السعودية " ومـثـل " مـاليـزيا " لوجـدوا عـلى أرض الواقع أن الإسلام هو دين الحـياة والعطاء ، وأن الإسـلام لم يقف أمام مـسيرة الإعمـار والإنماء فيهـما فمـثلا تعليم المرأة بالمملكة العربية السـعودية وصل إلى أقصى درجاته ، ولم يمنع االحجـاب المرأة السعودية المسلمـة أن تحصل على أعلى الشـهادات ، وأن تصـبح أكـاديمية وطبـيبـة ومعلمـة وأديبة إلخ.. ، وفي " مـاليزيا "– مـثلاً– التي نافست أرقى الدول في النهضة الصناعية لم تقف قيمها أمام تقدمهـا الصناعي وقـد جمعت هـذه الـدولة بين " التـقوى والتقـنية مـعاً " – كمـا قال رئيس وزرائـها مهاتير محمد – وذلك في تناغم جميل إذ لم تقف التقوى أمام التقنية ولم تحجب التقنية روح التقوى .

من الداخل تبدأ الخطوة الحاسمة لجلاء الصورة



" المرآة تعكس حقيقة الشيء " ! .

وكلما كانت الحقيقة جلية ومشرقة ظهرت الصورة – في المرآة – كذلك .

وإن كانت الحقيقة غير ذلك كانت الصورة في المرآة معتمة ومشوشة.. ! .

نحن عموم المسلمين – بغض النظر عن النشاز الموجود في كل أرض وطائفة – أولى بأن نكون ناشرين للوئام ، قادرين على التعايش مع غيرنا في بلادنا وبلادهم.. مؤمنين بان الله جعل العالم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتعاضدوا ليعمروا الأرض كما أراد خالق البشر، وليبنوا كوناً عامراً بالسلام ، معموراً بالخير والنماء .

ذلك أن هذه الرسالة الإنسانية الفاعلة المنوطة بالناس جميعا جاءت بنص دستور المسلمين ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٣].

هذا هو الإسلام الحق : بناء وسلام وتعمير لا هدم وتخويف وتفجير .

وهذا هو نهج المسلمين الصادقين .

لكن هل يكفي أن يكون هذا نهج الإسلام ، وهذا سبيل ملايين المسلمين؟ .

إن هذا لا يكفي بعد أن ابتلي الإسلام والمسلمون " بفئات إرهابية شاذة" ممن ينتسبون إليهم .

إن هذه " الأعمال الإرهابية " التي قام بتنفيذها وتولى كبر جرائمها هؤلاء المحسوبون على الإسلام بسبب انحرافهم الفكري عن منهج الإسلام وتعاليمه تتطلب مواجهة فكرية مستدامة ، وتحتم مجابهة حاسمة حازمة ذلك أن توفر القناعة بعظم جرائمهم ونفي انتسابهم للإسلام لا يكفي لدرء شرورهم عنا وعن العالم .

إنهم – بكل أسى – أعطوا أسوأ الصور عن الإسلام والمسلمين فضلاً عن إساءتهم لأوطانهم وبخاصة بلاد الحرمين الشريفين المحروسة ! .

إن علينا أن نُفهم العالم أن هؤلاء خارجون عن تعاليم الإسلام وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين قتلوا إخوانهم وأبناء جلدتهم ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ [سورة النساء آية : ٩٣] ، ورسول الإسلام نفاهم من الإسلام في قوله : ﴿ من رفع علينا السلاح فليس منا ﴾ .

وكيف يحسبون على الإسلام وهم الذين يقتلون المعاهدين في بلاد المسلمين ، أو يقتلون أبناء الدول الأخرى التي دخلوها بعهد ، ودستور المسلمين يقول: ﴿ أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكانما قتل الناس جميعاً ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٢].

وكيف يحسبون على المسلمين وهم يقتلون أنفسهم

والله يقول : ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كـان بكم رحيما ﴾ [سورة النساء آية : ٢٩] .

وكـيف يكونون مـتـبعين لتـعـاليم الإسـلام وهم الذين يلقون بتـعـاليم قرآنه وراءهم ظهـريا ، وإلا أين هم من قول الله تعالى : ﴿ وإذا جـاءهم أمرٌ من الأمن أو الخـوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرســول وإلى أولي الأمـر منهم لـعلمـه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [سورة النساء آية : ٨٣].

إن أمـثـال هؤلاء المجرمـين أساؤوا للإسـلام المسـتنيـر المتسامح وأسـاؤوا للمسلمين في مشارق الأرض ومـغاربها وأسـاؤوا لأبنـاء جلدتـهم وأوطانهـم جـزاهم اللـه بما يستحقون .

إن كل مـسلم عاقل يتـبرأ منـهم كمـا تبرأ نوح ــ عليـه السلام ــ من ابنه الذي وصفـه القرآن الكريم بأنه ليس من أهله إنه عمل غير صالـح.. وهؤلاء " عمل غير صالح " بل هم عمل ضال فاسد .

إن " الانحراف الفـكري الخطير " هو الذي صـرفهم عن منهج الإسـلام الصـحـيح . وهو الذي كـان وراء أعـمـالهم التدميرية ! .

من هنا علينا أن نـواجه هذا الفكر المـنحرف الذي خـرج عن مبادئ الإسلام بانحرافه وغلوه .

وأولى خطوات المواجهـة السعي إلى معالجـة تصحيح

الانحراف لكيلا يستشري في شباب الإسلام من جانب ثم الخطوة الأخرى المجابهة الحازمة لكل من يعتنق هذا النهج الانحرافي أو يدعو إليه .

لقد خدع هؤلاء أولئك المنظرون لهم من مدعي العلم ومتسلقي الفتوى، هؤلاء الذين لو كان عندهم بقية من علم أو صدق في الإيمان لما قالوا على الله بدون علم ، ولما تجرؤوا في فتوى ، فكيف يهدون وهم ضالون ، كيف يكونون صادقين وهم يفترون على الله الكذب ، والله يقول في محكم كتابه : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليُضل الناسَ بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤٤] ، ترى كيف ينخدع بعض الشباب بأمثال هؤلاء وبطروحاتهم الفكرية ، وفتاويهم المغرضة .

إن أولئك النفر من الشباب الضال لو أنهم رجعوا إلى علماء دينهم - إن كانوا مسلمين حقا - وأخذوا عنهم ، واستقوا منهم لما أقدموا على التخريب وقتل الأنفس البريئة.

ألم يقرؤوا هذه الفتوى لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية السابق - رحمه الله -عندما سئل هذا السؤال عن الوافدين إلى البلاد الإسلامية وهذا نص السؤال وإجابة سماحته رحمه الله « يظن البعض من الشباب أن مجافاة الكفار ممن هم

مستوطنون في البلاد الإسلامية أو من الوافدين من الشرع ، ولذلك البعض يستحل قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون ؟ » فأجاب: " لا يجوز قتل الكافر المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم بل يحالون للحكم الشرعي . هذه مسائل يحكم فيها بالحكم الشرعي " .

وأين هم من العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - الذي نص على أمثال هؤلاء الذين يرون - عن جهل - أنهم على صواب وغيرهم على خطأ فيجرون بذلك الوبال على دينهم وأمتهم ، يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في كتاب " حقوق الراعي والرعية " ص٧ : " لو جاز لكل واحد أن يركب رأسه وأن يعتز برأيه ، ويعتقد أنه هو المسدد للصواب ، وهو الذي لا يدانيه أحد لزم من ذلك الفوضى والتفرق والتشتت ، ولذلك جاءت النصوص القرآنية والسنة النبوية بالأمر بطاعة ولاة الأمر .. " أ - هـ .

وقد أعلنت المملكة العربية السعودية أمام العالم مواصلة محاربتها للإرهاب بإجراءات حاسمة ، ولا أقول بداية محاربتها للإرهاب ، فهي قد بدأت ذلك منذ سنوات لكنها صدعت بخطتها الحاسمة العازمة للقضاء عليه في أرضها ، والمساعدة الكاملة في القضاء عليه في أنحاء الدنيا وذلك في الخطاب الملكي الذي وجهه خادم الحرمين

الشريفين ملك المملكة العربية السعودية في بداية السنة الثالثة للدورة الثالثة لمجلس الشورى السعودي في ١٦/٣/١٤٢٤هـ حيث جاء في هذا الخطاب بالنص :

«إن هذه الأمة قد توحدت على ضرورة القضاء على كل مظاهر آفة الإرهاب ، وهي قادرة بحول الله وقدرته وتعاون مواطنيها على تحقيق ذلك ، وإن شعبنا السعودي النبيل من منطلق إيمانه بثوابته الإسلامية وقيمه العربية يرفض الإرهاب بكافة صوره وأشكاله ، ولن يسمح لفئة من الإرهابيين المنحرفين أن يمسوا الوطن وسلامة أبنائه والمقيمين فيه ، ولن يسمح - إن شاء الله - بوجود فكر ضال يشجع الإرهاب ويغذيه ، حتى عندما يحاول هذا الفكر الضال التظاهر بالتدين ، والدين الحنيف من الإرهاب ومن فكر الإرهاب براء » .

إن هذه المواجهة بل المجابهة للإرهاب التي تقوم بها المملكة العربية السعودية - بكل حزم وعزم- سوف تقضي - بحول الله - على "الإرهاب" في بلادنا فكراً وسلاحاً وتدميراً ، وستهزم المجرمين الذين يقتلون الناس ويخربون البنيان وستبلور صورة المسلم الذي يامره دينه بالعدل وإشاعة السلام وينهاه عن قتل الناس وتخريب الديار ، ومن يفعل ذلك وضع لهم الإسلام بنص دستوره أشد صنوف العذاب جزاء الاعتداء على الناس والفساد في الأرض ، فالقرآن الكريم يقول : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون

الله ورسـوله ويسـعـون في الأرض فـسـاداً أن يُقـتَّلوا أو يُصلَّبـوا أو تُقطّع أيديـهم وأرجُلُهُم من خـلاف أو ينفـوا من الأرض ذلك لهم خـزي في الدنيـا ولهم فـي الآخـرة عـذاب عظيم ﴾[سورة المائدة آية : ٣٣] ، ناهيك أن أمثال هؤلاء لا يفون بالعـهد سواء في ديارهم أو ديار غيـرهم والله يقول آمراً المسلمين الصـادق إسلامهم ﴿ وأوفـوا بالعهد إن العـهد كان مسؤولاً ﴾[سورة الإسراء آية : ٣٤] .

وتتزامن مع هذه المجـابهة مواجـهة هذا الفكر والقـضاء عليـه وتنقـية بلاد المسلمين مـن معـتنقـيه بالجـزاء الرادع بقطع دابرهم واقـتـلاعـهم من جـذورهم حـمـاية للإسـلام والمسلمين وشعوب العالم من أخطارهم .

ولنجاح هذه المجابهة الحاسمة " للإرهاب وفكره " لابد أن يواكب ذلك تقصٍ لأسباب هذا الفكر المنحرف عن الإسلام الذي قاد إلى الإرهاب ، لاسـتئصاله من جـانب ولكيلا يؤثر على النشء المسلم الجـديد، لكن لا بد من إشارة مـهمـة جداً هنا ألا وهي أن مـعـالجـة هـذا الفكر المنحـرف عن الدين الصحيح يجب ألا تمسّ شيئـاً من ثوابت الدين أو تعاليمه ، أو علمـائه قدامى أو مـحـدثين لأن هذا تطرف في المعالجـة ربما يجر إلى تطرف مقابل ، وبالتـالي إلى فرقة الأمة التي توحدت على مـبادئ الدين الحنيف وهي بمثل عـدم قبـولها الغلو فيه فإنهـا لا يمكن أن ترضى بالجفاء عنه ، أو التنكر لشيء منه أو الجهل فيه .

إن كـشف عـوار هذا الفكر المنحـرف عن منهج الإسـلام وبيان ضلاله يبـدأ من أسوار البيت إلى قبة المسـجد مروراً بفـصل المدرسة ، ومن هنا يكون تحـصين شبـابنا وشـباب المسـلمين – بـإذن الله – من ضـــلال هؤلاء المنـحـــرفين والانخداع بنهجهم المنحرف قولاً وعملاً .

وبمثل هذه المواجهـة الفكرية ، وهذه المجابهة الحاسـمة من كافة التـيارات والشعوب الإسـلامـية سـوف يتـلاشى " الإرهاب " الذي يتدثر برداء الإسلام في بلادنا المحروسة أو غيرها من بلاد المسلمين ومـناطق العالم الأخرى ، عندها سوف تتجلى أمام الدنيا الصـورة المشرقة للإسلام ومبادئه وأبنائه وحضارته ونضارة تعـاليمه ، وسوف تعود – من جديد بحول الله – الصورة المشرقة للمسلمين عامة ، ولهذه البلاد المملكة العربية السعودية خـاصة بوجهها الحضاري المضيء ، وبصورة أبناء شعبها الذين عرفهم العالم مسالمين للناس ، متعـايشين مع الآخرين ، متعاضـدين معهم في كل ما يخدم البشرية وأبناءها .

الإسلام ومحاربة الإرهاب

أولاً – لكم يؤلمني بحسباني عربيـاً مسلماً غياب أو بالأحرى تغييب حـقيقة أن أول دين حارب الإرهاب هو الإسلام .. وقد جاء اسمـه كمصطلح في القرآن الكريم والسنة النبوية باسم « الحرابة » التي تعني قطع الطرق والإفســاد في الأرض وقتل الناس . وهؤلاء جـزاؤهم في القـرآن جزاء حـازم وكـبيـر ألا وهو القـتل أو الصلب أو النفي من الأرض .

والمؤسسات الإسلاميـة في العصر الحاضر ، هي أول من قدم تعـريفاً للإرهاب ، ففي بيان مكة المكرمـة الصادر من مؤتمر المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في ٢١ / ١٠ / ١٤٢٢هـ عرّف العلماء المسلمون المجـتمعون الإرهاب : " بأنه العدوان الذي يمارسه أفـراد أو جماعات أو دول بغـيـاً على الإنسان : ديـنه ودمه وعـقله ومـاله وعرضـه " ولعل هذا أدق تعريف للإرهاب ، وقـد انطلق من الدين الإسلامي الذي حفظ الضرورات الخمس منذ أن أشرق على الدنيا قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً .

ثانياً : الإسلام بقدر مـا حارب الإرهاب كرم وحفظ حقـوق الإنسان في أعظم تكريم للإنســان مسلماً أو غـير

مسلم رجلاً أو امرأة ففي نص القرآن الكريم : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٠].

وقمة التكريم ، الحفاظ على أرواح الناس ودمائهم وأعراضهم .

ثالثاً : الإسلام حفظ العهد وأمر بذلك فالله يقول : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٤].

والمسلم عندما يدخل بلداً " بتاشيرة " يعني أنه موافق على نظام هذا البلد وعهوده ، وكذا الشان عندما يدخل غير المسلم بلاد المسلمين بتاشيرة فإنه يجب الحفاظ على عهده نفساً وعرضاً ومالا .

رابعاً : إنني لأستغرب أن يوصم الإسلام بالإرهاب والإسلام حرم قتل النفس مهما كانت هذه النفس بنص القرآن الكريم : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٣] والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ﴿ من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ﴾ بل بلغ الأمر أن رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – عندما نهى عن إيذاء غير المسلم ربط ذلك

بالإساءة إليه عليه السلام .

خامساً : بلورة حقيقة أنه ليس هناك دين أمر بالرفق، ونبذ العنف مثل الإسلام فنظامه ودستوره يقول فيه منزِّله سبحانه: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [سورة فُصّلت آية : ٣٤] ويقول :﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] فهل هناك رفق أكثر من هذا الرفق ونبذ للإرهاب أعظم من هذا النبذ ؟ .

سادساً : إبانة أن هذه هي تعاليم الإسلام الصحيحة بنص دستور المسلمين وسنة نبيهم في حفظ أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم ومن شذَّ عنها فلا يعتد به ولا يصح أن يكون دليلاً على إرهاب الإسلام أو المسلمين .

تبقى – أخيراً – إشكالية الخلط بين الإرهاب والجهاد في وسائل الإعلام الغربية ، بينما الإرهاب والجهاد من خلال الرؤية الإسلامية متناقضان : فالإرهاب اعتداء وحرابة على الآخرين ، وقد نبذ وحارب الإسلام الإرهاب وفكره قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة. بينما الجهاد المشروع في الإسلام له شروطه الدقيقة ومن أهمها أن يكون بموافقة الحاكم المسلم ، وهو يكون مشروعاً عندما

يكون ضـــد الآخـرين المحـــاربين المعـتـــدين على أرواح المسلمين أو ديارهم أو أمـوالهم وهذا ما يجب تـوضيـحه للآخـر وإعلامـه به ، وأية أمة مـهمـا كان دينهـا لا بد أن تدافع عن نفسهـا وتجاهد من يحاربها أو يعتـدي عليها ، وعلينا - تحديداً - أن نكشف أن الدعوة للإســلام سبيلها الأبلغ والأهم الجهاد عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة كما في القرآن الكريم، وعلينا - فقط - البلاغ كما أمر الله رسوله وعلى الله وحده الحساب والعقاب .

هذه حقيقة الدعوة إلى الله ، ومن يجهل ذلك من غرب وشرق علــيه أن يفـهم هــذه الحــقيــقة أو نفهمه إياها " والناس أعداء ما جهلوا " كما تـقول الحكمة الشهيرة .

فرية الوهابية والشيخ ابن عبد الوهاب يرد بنفسه



هذا الفصل ما كنت سوف أضيفه إلى هذا الكتيب إلا بعد أن علا صوت الاتهام في وسائل الإعلام الغربية وبدأت تدندن به - مع الأسف - بعض الوسائل العربية ، هذه التهمة التي طالت العالم المجدد لتعاليم الإسلام وسماحته الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ، ونالت من دعوته الإصلاحية التي تطلق عليها بعض الوسائل من - عندها - اسم " الوهابية " وإلا فحقيقة الأمر ليس هناك شيء اسمه " وهابية " وصاحب الدعوة التجديدية لم يدَّع ذلك ولم يقل به .

لن أتوقف عند هذه الفرية طويلاً ذلك أن العالم الذي اتهمت دعوته الإصلاحية المجددة بالغلو وفكر التكفير ، رد هو بنفسه - رحمه الله - على هذه الفرية خلال حياته ! .

لقد اتهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - بتأصيل الإرهاب من خلال دعوته ! ولا أدري من أين جاءت هذه التهمة ، والمنطق يقول : إن التهم تؤخذ من آراء وكتب الإنسان المتهم ومن اطلع وقرأ ما عند

الشيخ محمد بن عبدالوهاب - وهي ميسرة لمن أراد أن يطلع عليها ويتبع الحق- فإنه يجد الشيخ - رحمه الله - لم يدع ولم يتجاوز قيد أنملة ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح لقد كانت رسالته الإصلاحية هي عودة الناس إلى هذه المنابع التي تدعو إلى الإيمان الصحيح والتسامح ونبذ البدع التي تشوه الإسلام وتسيء إليه .

إن كذب وبطلان وسقوط هذه التهمة تجيء من نفي الشيخ نفسه لها ورده على من اتهموه بالتشدد والغلو وفكر التكفير ، لقد اتهم - رحمه الله - بهذه التهمة في حياته ، وهاهي الفرية تتجدد بعد وفاته !.

وسأكتفي بنقل بعض أقواله وآرائه التي ترد - بالدليل القاطع - على الاتهامات .

إنه يقول في المجلد الخامس ص١١ من مجموعة مؤلفاته : ﴿ ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه من دائرة الإسلام ﴾ .

ويؤكد هذا القول الذي يوحي بانزعاجه من هذا

البهتان » وأما القول : إنا نكفر بالعموم ، فذلك من بهتان الأعداء ، الذين يصدون به عن هذا الدين ، ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم » - ص ١٠١ المرجع السابق.

وليقرأ المتهمون له هذا القول الذي يرسخ رؤيته في الدعوة بالحكمة ، والحرص على وحدة الأمة : « إنَّ بعض أهل الدين ينكر منكراً وهو مصيب لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان » - المرجع السابق .

وأختم هذه الأدلة الدامغة التي تفند وتبطل كل اتهام للشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وذلك في جوابه على رسالة بعثها إليه أحد علماء العراق عبدالرحمن السويدي حول تهمة تكفير الشيخ للناس ولنقرأ ما يقول الشيخ - مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب الجزء الخامس ص٣٦ : « وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، منها : إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه ، فضلاً عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من تبعني ، وأزعم أن

أنكحتهم غير صحيحة ، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل ، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون » .

إن هذه نصوص وأقوال الشيخ محمد بن عبدالوهاب فهل ياتي بعد ذلك - في الشرق أو الغرب - من يُجلب عليه بتهمة الغلو ، أو يدعي أن هناك مذهباً جديداً اسمه " الوهابية " .

أقول أخيراً لمتهمي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالغلو : إنه لو أخذ متبنو فكر التكفير بدعوة وأقوال وما جاء في كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي استقاها وبناها - رحمه الله - على كتاب الله وسنة رسول الإسلام ما حصل منهم غلو أو تكفير ولكنهم ضلوا الطريق وابتعدوا عن نهج علماء المسلمين المعتبرين .

بعد هذا " القول الواضح " من كلام هذا الشيخ ، هل تكف وسائل الإعلام الغربية وبعض المغرضين في وسائل الإعلام العربية من ترداد مثل هذه التهم بحق هذا العالِم ودعوته ؟ .

الإسلام والتعددية



هذه من أهم الإشكاليات التي تثار حول الإسلام والتي لا تزال غامضة ومشوشة لدى الآخر ، مع أن الإسلام تبنى الحوار وآمن بتعددية الرأي وحرية الأديان ففي نص القرآن أقر خالق الناس باختلاف الناس وتعدد توجهاتهم فقال : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ..﴾ [سورة هود : ١١٨-١١٩] وفي نص أكثر مباشرة في ترسيخ حرية المعتقد : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٦] .

وبلغت سعة صدر الإسلام - وليس بعض المحسوبين عليه - أنه أجاز حتى الحوار حول وحدانية الله سبحانه ، فالله يقول في القرآن الكريم في ميدان الحوار مع المشركين : ﴿ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[سورة النمل آية : ٦٤] .

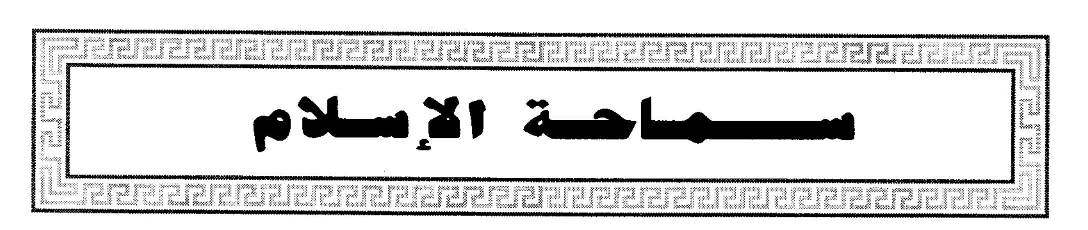
وحتى في مجال الدعوة إلى دين الإسلام والإيمان به أعطى الله مطلق الحرية للإنسان : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..﴾ [سورة الكهف آية : ٢٩] .

وأختم هذه الوقفة بقصة الطفيل عندما قدم من " دوس " وقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن دوساً - يا رسول الله - كفرت وابت فادع الله عليهم ، ولكن الرسول عليه السلام لم يدع عليهم بل دعا لهم فقال : ﴿ اللهم اهد دوساً وإت بهم ﴾ .

بعد هذا لا يجهلن أحد علينا من الغرب أو الشرق عندما ينظر إلى فئام من المحسوبين علينا .. لا يؤمنون بتعددية ، ولا يعتقدون بحوار .

إن مثل هذه فئات محدودة جاهلة موجودة في كل مذهب وكل دين وفي متقدم العالم ونامیه ، ومن شانها أن تنقرض كلما تنامى الوعي في الداخل وانتصر حوار الحسنى بين الإسلام والغرب ، واختفى مصطلح الصراع الذي كان أول من طرحه هو المفكر الغربي " هنجتون "مؤلف كتاب " صراع الحضارت "! .

إننا بصفتنا مسلمين مقتنعين بإيمان الإسلام بالحوار نفتح قلوبنا وعقولنا للعالم من حولنا لحوار موضوعي يستهدف سعادة الإنسان وسلام العالم ، وتعارف شعوبه وقبائله من أجل أن تعيش كل شعوب هذا الكون في عالم يحفّه السلام ويوحّد بين أفراده الوئام .


سماحة الإسلام



وماذا عن سماحة الإسلام ؟ .

إن سماحة الإسلام لا تتوقف على أن يعدل المسلم مع أخيه المسلم فقط بل تتجاوز ذلك إلى القسط والعدل مع أي إنسان مهما كانت عقيدته إذا لم يحارب المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم ، بل إنها تصل إلى الإحسان والبر بامثال هؤلاء من غير المسلمين فالله يقول : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٨] .

وخص الإسلام أهل الكتاب بحسن التعامل وبحسن الجدال فالله يقول : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٤٦] .

وكم يحسن أن نركز في هذا الجانب على أهمية حسن العلاقة مع الآخرين دولاً وشعوباً من أجل عمارة الأرض وتعايش المسلمين مع غيرهم في ضوء أن العلاقة – عادة – تقوم بين الأفراد والأمم على أساس المصالح المشتركة ، وليس من صالح المسلمين توتير العلاقة مع الآخرين أو الاعتراض على عقائدهم وبخاصة أننا نحن المحتاجون إلى دول الغرب المتقدمة صناعياً وعلمياً وطبياً والله يقول : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ [سورة الكافرون آية : ٦] .

- الأمر الآخر الذي علينا إبرازه هو أن الإسلام رسخ ثقافة « التسامح » بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى فالرسول

– صلى الله عليه وسلم – كان يزور ويكرم جاره اليهودي وكذلك فعل عمر بن الخطاب ، ونتساءل هنا كيف يصفنا أهل الغرب بالإرهاب ورسولنا يمارس التسامح مع غيره ويدعو له بل ويقرن أذيتهم بإيذائه .

وقد عاشت الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في انسجام تام .

بل بلغ احترام الإسلام للإنسان أن نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – وقف عندما مرت جنازة يهودي احتراماً وتقديراً له بصفته إنساناً ،

وأخيراً بلغ الأمر بسماحة الإسلام وسماحة رسوله .. أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه بعض الصحابة الدعاء على المشركين فقال نبي الرحمة : ﴿ إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة ﴾ .

وهذا رأي مفكر غير مسلم يؤكد فيه سماحة الإسلام ألا وهو المستشرق جوستاف لوبون : « إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم » ويقول في موضع آخر: « الإسلام من أكثر الأديان ملاءمة لاكتشاف العلم ، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح » ، إن الإسلام حتى في ميدان القتال جسد سماحته وعدله ، وحفظه لحقوق الإنسان والأسرى قبل اتفاقيات حقوق الإنسان ، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – كان

يوصي أي أمير على سرية أو جيش بقوله : ﴿ لا تغلوا ولا تغدروا ولا تنكلوا ولا تقتلوا وليدا ﴾ وأين هذا مما يتم في حروب الدول المتحضرة اليوم ؟.

لقد وصل احترام الإسلام للإنسان أنه نهى ومنع - بنص القرآن - سب معتقدات الآخرين الباطلة التي يدعونها من دون الله من أجل ألاّ يسب متبعو هذه المعتقدات الله ودين الإسلام وثوابته فالله يقول في دستور المسلمين : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٨] .

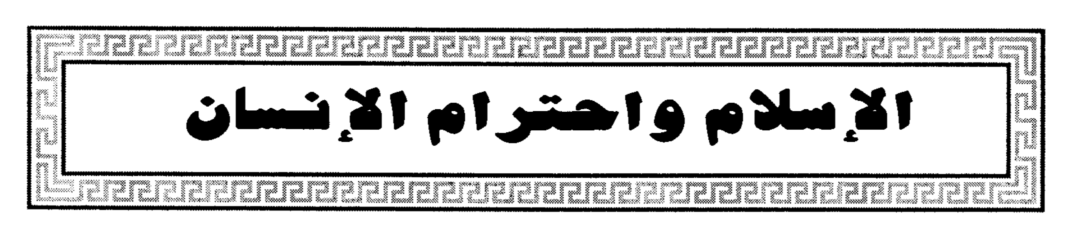
ومن جانب آخر فإن الإسلام بقدر ما نأى بتعاليمه عن الشدة والغلو ونهى عنهما فإنه أيسر الأديان السماوية أحكاماً على المنتمين إليه .. وهذا مما يحفّز على الدخول فيه ، والأخذ بتعاليمه .

إن القرآن الكريم بنصوصه الصريحة يأمر المسلم أن يتقي الله حسب استطاعته : ﴿ .. فاتقوا الله ما استطعتم .. ﴾ [سورة التغابن آية : ١٦] ، والإسلام بنص القرآن بيّن أن الله أراد للمسلمين بالدين اليسر ولم يرد بهم العسر: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] .

من جانب ثالث رفع الحرج عن المسلم عندما لا يستطيع تطبيق شيء من أحكام الإسلام في عباداته ومعاملاته وعلاقته

بالآخرين – أفراداً وشعـوباً –﴿ .. وما جعل عليكم في الدين من حرج .. ﴾[سورة الحج آية : ٧٨] ، وقد عـرّف فضيـلة الشيخ الدكتور / صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام " الحرج " تعريفـاً دقيقـاً في كتابه النـفيس " رفع الحرج في الشـريعة الإسلاميـة ضوابطه وتطبيقاته " فقـال :« الحرج كل ما أدى إلى مشقة زائدة في البدن أو النفس أو المال حالاً ومآلا » .

إن مشـروعنا الحضاري الذي يحق لنا أن نزهو به ونقـدمه للآخرين هو " ثقافة التسامح " في الدين الإسلامي –المتهم ظلماً بالغلو والانغلاق – وذلك من واقع نصوص دستوره وحضارته وتعامل الأكثرية من المنتمين إلى حقـيقته وجوهره ، لا من خلال طروحات وأعمال الأقلية الخارجين على منهجه ومبادئ سماحته ، أولئك الذين يتبـرأ المسلمون منهم ومن أعـمالهم قبل غـيرهم .


الإسلام واحترام الإنسان

لا بد من بلورة احــترام الإســلام للإنسان ، إذ الإســلام أمــر بالقسط مع كل الــناس ، وبالا يدفع الاختــلاف مع الآخرين إلى عدم العدل باي حــال ، ومع أي جنس من البشر ، كما حــرّم الإسلام ظلم الإنسان أو سلبه حــقوقه ، بل رتب العذاب الشــديد في الحيــاة الأخرى على من يعــتدي على أي إنسان مهما كــان دينه ، وشبّه من يقتل أي نفس بشرية بمن يقتل الناس جميعاً .

بل بلغ الأمر أنه في الحروب نــهى الإسلام حتى عن قطع شجرة أو الاعتداء على كنيــسة وأين هذا – مرة أخرى وثالثة – من حروب هذا العــصر وجرائمــها وقتــلها النساء والشــيوخ والأطفال وانتهاك الأعراض، وتخريب الدور والديار .

وفي مجــال التعــامل والتعــايش مع الآخرين ســواء أيام السلم أو الحــرب حض الإســلام علــى التــوجــه إلــى السلم والسلام .

وفي حالات الحروب وانتصار المسلمين وفتح البلدان لم يجد العالم أكــثر رحمة من العــرب – كما اعترف بذلك كــثير من مــفكري الغــرب – وأروي هنا وثيقــة الخليــفــة عمــر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما فتح القدس ، هذه الوثيقة العظيــمة المنصــفة التي أوردتهــا كتب التــاريخ للدلالة على احترام الإسلام للإنسان ودينه ودور عبادته وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحــيم ، هذا ما أعطى عبد اللــه عمر

أميـر المؤمنين أهل إيلياء من الأمـان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصُلبـانهم وسقيمها وبريئـها وسائر ملتهـا ؛ انه لا تُسْكَن كنائسهم ولا تُهْدَم ولا ينتـقص منها ولا من حـيِّزها، ولا مـن صليبـهم ولا من شئ من أمـوالهم ، ولا يُكْرَهون على دينهم ولا يُضَارّ أحـد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن . وتمضي الوصية تقـول: فمن خرج منهم فإنه آمن على نفـسه وماله حـتى يبلغوا مـامنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مـثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنـفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصُلبهم فإنهم على أنفـسهم وعلى بيعهم وصلبهم أن يبلغوا مأمنهم . ومن كان بـها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثلُ ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله . وإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يُحْـصَد حـصادهم . وعلى مـا في هذا الكتاب عـهد الله وذمة رسـوله وذمة الخلفاء ، وذمـة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجـزية . وختم عمر الكتـاب بتوقيعـه ، ثم أشهد عليه خالد بن الوليد ، وعمـرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان » .

ما أروعهـا من وثيقة وما أعظمه من خليفـة مسلم قوي وعادل وما أعظمهم من شهود عدول .

– وأعـرض نماذج عمـلية من تعـامل المسلمـين مع غيـر

المسلمين ليس بالاحترام فقط ، بل وبالتكريم لهم ، وإعطائهم مثل المسلمين من مال الدولة .

هذه ثلاثة نماذج من تاريخنا وتعاملنا الحضاري :

- الأول موقف الخليفة عمر بن الخطاب عندما مر بباب عليه قوم ، وعليه فقير مُسنّ يسال ، فعاد له عمر وقال : من أي أهل الكتاب أنت قال : يهودي قال : فما ألجاك إلى ما أرى قال : أسال الجزية والحاجة والسن فاخذه عمر وذهب به إلى منزله " منزل الخليفة " وأمر له بشيء من المنزل ، ثم أرسل إلى خازن بيت مال المسلمين فقال: « انظر هذا وأضرباءه " أمثاله " فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله في الهرم » ! .

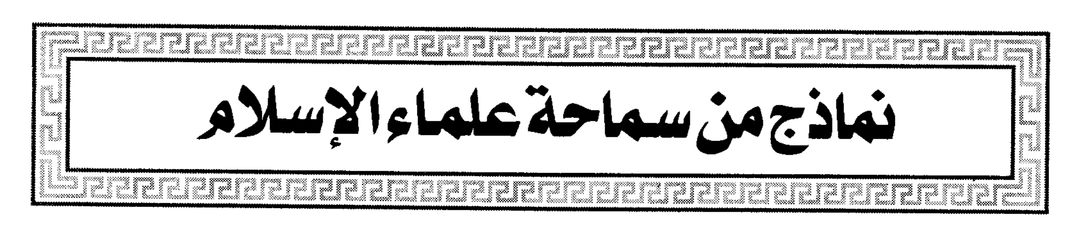
هذه هي حضارة الإسلام : فهل نرى – الآن – في العالم المتحضر الآن من يعطي غير رعاياه من خزينته ويجعل التكافل الاجتماعي يشمل الوافدين إليه دون أدنى شروط أو تنازلات ؟.

- الموقف الثاني : رسّخه موقف الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – عندما كتب إلى عامله بالبصرة آمراً له بهذا الكتاب الذي يفيض عدلاً وقسطاً ورحمة مستمداً خطابه من عدالة الإسلام ورحمته : « انظر إلى من قبلَك من أهل الذمة : من قد كبرت سنه وضعفت قوته، ووَلّت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه » إنه ضمان اجتماعي لغير المسلمين .. ، يأمر به

الحاكم المسلم حتى لغير رعايا حكومته !! .

الموقف الثالث : يكشف عن جانب من أرقى أنماط التسامح ذلك هو الصبر حتى على الأذى من منطلق إسلامي تسامحي ، وكان نتيجة هذا التسامح أن جعل النصراني يعتنق دين الإسلام لما رأى من نبل وسماحة وخلق جاره المسلم وقد نقل د/ عبد العزيز الخويطر في كتابه القيم " إطلالة على التراث " هذا الموقف عن صاحب الإمتاع والمؤانسة : " كان للحسن بن علي جار نصراني، وكان يتحلب منه في البول في بيت الحسن . وكان الحسن أمر بإناء فوضع تحته ؛ فكان يُخرج ما يجتمع منه ليلاً . ومضى على ذلك عشرون سنة ، فمرض الحسن ذات يوم ، فعاده النصراني ، فرأى ذلك . فقال : يا أبا سعيد ، مذكم تحتملون مني هذا الأذى ؟ فقال : منذ عشرين سنة . فقطع النصراني زنّاره وأسلم " .

إن هذه تعاليم ديننا ، وهذه تطبيقات قادته وأبنائه ، ويبقى علينا – بكل ما أوتينا من قدرة وبكل ما نملك من وسائل – أن نكشف هذا الاحترام من الإسلام للآخر ودعوته للسلم والإحسان .



نماذج من سماحة علماء الإسلام



إذا كنت في الوقفات السالفة ركزت على ثقافة التسامح في الدين الإسلامي من خلال نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية وخلفاء المسلمين فإنني أتوقف في هذا الفصل عند نماذج من سماحة علماء الإسلام المستنيرين الذين انطلقوا في دعوتهم من خلال رؤية مرغِّبة لا منفرة ، مرجعيتهم فيها نصوص الوحيين ، وسير الخلفاء الراشدين.

وعندما نقرأ كتب وآراء العلماء المستنيرين نجد آراء وفتاوى ومقولات بل وكتباً متكاملة كلها تصب في إيضاح " سماحة الإسلام "، واحترام الآخرين ، واحترام معتقداتهم ، يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – " لا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك " .

ومثل هذا الخطاب الإسلامي التنويري المواكب لمستجدات العصر ومتغيراته هو الذي نريد تقديمه من علماء أمتنا وبخاصة في هذه الظروف لنستطيع أن نتعايش مع العالم من حولنا ، ومن جانب آخر نستطيع أن ننشر ضوء إسلامنا بالتبشير لا بالتنفير عبر فضاءات التعايش والسماحة ، بعيدين عن القوالب التي تدخل ديننا في مدارات الغلو والتطرف .

وإذا ما شذّ بعض مدعي العلم من المسلمين عن المنهج

الإسلامي الصحيح فهذا لا يحسب على التيار الإسلامي المعتدل المعتمد على منهج الوسطية ، المنهج الذي يتجه إلى أماكن السماحة والاتفاق ، ولا يبحث عن مكامن الغلو والتطرف .

إن هذا هو الخطاب الإسلامي المرتجى : الدعوة بالحكمة وتغليب المصالح على المفاسد ، والتبشير بسماحة الإسلام لا تسويق خطاب التطرف عنه .. خطاب لا يتقاطع مع دعوة التعايش مع الآخر ولكن يتفق معها ضمن الثوابت الإسلامية التسامحية ، وأعرض هنا فتوى واعية للتعامل والتعايش الحسن مع الآخر لأحد علماء هذه البلاد وأحد أعضاء هيئة كبار علمائنا الشيخ عبدالله البسام الذي انتقل إلى رحمة الله قبل مدة وجيزة ، لقد وجه إليه سؤال يقول : أنا موظف ووظيفتي تقتضي مني مجاملة غير المسلمين كالبشاشة في وجوههم والابتسام عند لقائهم ، ومشاركتهم في " البروتوكولات " التي يعتبر قيامي بها من اللباقة والعرف العام الذي لا يتصادم مع ثوابت الإسلام ؟وكان جواب الشيخ – رحمه الله :-« إذا كان عملك يحتم عليك المشاركة في هذه " البروتوكولات " وأنت تؤدي خدمة لوطنك ولأمتك ، ولم تكن هذه الأمور مما يخص شعائرهم الدينية ، ولا يعد من يفعلها تابعاً لدينهم في الظاهر وإنما هو مقتضى

العرف العام واللباقة والمجاملة التي لا تبلغ حداً يكون فيه المسلم قد تخلى عن ثابت من ثوابت الإسلام ، فالأمر واسع ولا مانع من ذلك شرعاً » .

إن مثل هذا الفهم لرسالة الإسلام هو الذي يدرأ الخطر عن أمتنا فضلا عن أنه هو الطريق الأفضل لنشر دعوة الإسلام ، وتحديداً في هذا الوقت المترع بكل مستجداته ومتغيراته ، وتشابك علاقاته الاقتصادية ووسائله الإعلامية .. إنه لابد من النظر إلى مستقبل الأمة ، من منطلق عالمية الإسلام ، وتعايشه مع الآخر ، ومن هنا لابد من الاجتهاد في متغيرات العصر في حدود الثوابت الشرعية بدلاً من الارتهان إلى منطق الجمود والغلو من البعض سواء كانوا طلاب علم أو أفراداً مسلمين .. يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - الذي أُتهم بالغلو - مع الأسف - من بعض كتاب الأمة الإسلامية ، في الجزء الأول من فتاويه :« كل ما لا يمكن الاحتراز منه معفو عنه » .. ما أعظمها من قاعدة شرعية من إمام جليل .. وما أكثر الأشياء التي لا يمكن الاحتراز منها في علاقات الدول ، ومستجدات العصر ، والتعامل مع الآخر ! .

ويقول - رحمه الله - في موقع آخر من فتاويه قولاً رائعاً يكتب بمداد الذهب : « فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت

الرسل وأنزلت الكتب والله لا يحب الفساد فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجبا وفعل محرما إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم » .

وهذا إمام آخر هو الإمام ابن رشد راعى متغيرات الزمان في الأحكام بشكل واضح وصريح عندما قال : « إن لله أحكاماً لم تكن أسبابها موجودة في الصدر الأول فإذا وجدت أسبابها ترتبت عليها أحكامها » .

وما أكثر الأحكام التي تغيرت أسبابها في هذا العصر ولعل مقولة الإمام ابن رشد تنطلق من القاعدة الإسلامية الفقهية التي تقول : « إن الأحكام تدور مع عللها » .

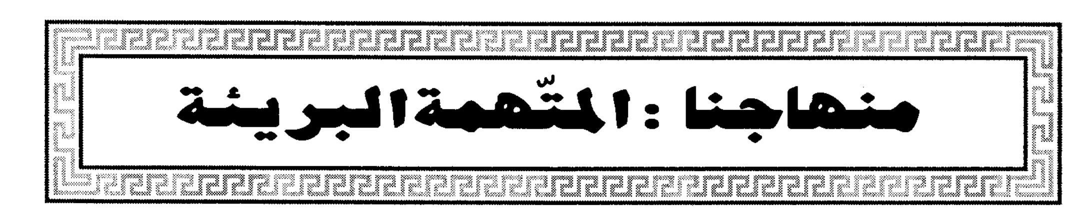
وآراء هؤلاء العلماء الأجلاء بقدر ما نتمنى أن يطلع عليها الغرب نتمنى - وبشكل أكثر إلحاحاً - أن يفهمها ويدركها أدعياء العلم ومتسلقوا الفتوى عن جهل ومنظروا الانحراف ، من المحسوبين على الأمة الإسلامية الذين أساؤوا إليها وأضروا بها .

وأتوقف هنا وأنا أتحدث عن إدراك وفهم علماء الإسلام المعتبرين والمستنيرين عند تهمة وصمهم بالغلو أو تاييدهم للإرهاب ، فهذا أبرز علماء عصره - رحمه الله - سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز من أول من استنكر اختطاف الطائرات وتفجير السفارات وغيرها من

أعمال الإرهـــاب حـيث يقـول - رحمه اللـه - ما نصــه : «فمن المعلـوم لدى كل من له أدنى بصيـرة ، أن اختطاف الطائرات وبني الإنـسـان من السـفـارات وغـيـرها ، من الجرائم العظيمة العالمية ، التـي يترتب عليها من المفاسد الكبيرة ، والأضرار العظيـمة ، وإضاقة الأبرياء وإيذائهم ما لا يحصيـه إلا الله . كما أن من المعلوم أن هذه الجرائم لا يخص ضررها وشـرها دولة دون دولة ولا طائفة دون طائفة بل يعم العالم كله ، ولا ريب أن ما كان من الجرائم بهذه المثابة ، فإن الواجب على الحكومات والمسؤولين من العلماء وغـيرهم أن يعنوا به غايـة العناية ، وأن يبذلوا الجهود الممكنة لحسم شره ، والقضاء عليه » .

هذه نماذج من استنارة وعدل وسماحة علماء الإسلام فضـلاً عن مـواقف عدل الحكام المسلمين ، والمسـاواة بين رعايـاهم مما نتج عنه تعايش الحـضارة الإسـلاميـة مع الحضارات الأخرى على مدى القرون الماضية .





منهاجنا : المتّهمة البريئة

لم أجـد أكثـر افتـراء من هذه التهـمة الجـائرة التي وصفها المسؤول عـن المناهج وزير التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية " بانها حملة ظالمة "

إنني هنا لن أرد على هذه التـهمة بالنصوص القـولية من القرآن والـسنة وأقوال العلمـاء كما أسلفت فـي التهم السابقة .

لكن أرد عليـها بهـذه النقاط أو بالأحـرى بإثارة هذه الأسئلة أمام من يلصق هذه التهـمة بمناهج التعليم لدينا وفي بلادنا الإسلامية .

أولاً : إن نتـاج هذه المناهج التـعليمـيـة في المملكة العربية الســعودية بخاصة والبلاد العربيـة والإسلامية بعامة هم الذين يحاورون الغـرب ويدعون إلى التعايش معـهم ، هؤلاء الذين يجلسـون مع صناع القـرار ورجال الإعلام والأعمـال في الغرب على " طاولات " واحدة ، بل هم الـذين يدعـــون علـى المنابـر ، وأوراق الصـــحف ، وشاشات التلفاز للتـعايش مع الحضارات الأخرى وليس الصراع معها .. وإذا ما شذ أفراد فذلك لا يعود إلى المنهج بل جاء لأسـباب إما فكرية نتـيجة تاثرهـم بفكر منحرف ضال مـضلل أو لأسباب شخـصية إمـا بدافع " جينات " خلقت كامنة فـيهم أو لظروف خاصة بهم، أو نتـيجة تلك

الحملات الإعلامية الظالمة من الإعلام الغربي .
ثانيـاً : لو صح إلصـاق تهـمـة التطـرف بمناهجنا فماذا يقولون عن مناهجهم ونحن نرى الشذوذ والإرهاب والتطرف من أفراد مـجتمعـاتهم ، إن صحت هذه التهـمة على منـاهجـهم وسلّمـوا بهـا فكيف يـريدون أن تكون مناهجنا مـثل مناهجـهم ، وسـؤال آخر لمـاذا لا يغيـرون مناهجهم لتفادي حالات الإرهاب لديهم ؟

ثالثــاً : هل يعـقل أن تكون مـناهجنا في المـملكة العربية السعودية بخاصة فيها تطرف ، ودعوة للإرهاب وهي التي انطلقت من تعاليم دين دعا بنصوص دستوره ، كمـا تبين في الصفحـات الماضية .. إلى البر والإحـسان إلى الآخـرين وإلى منحهم حـرية المعـتقـد : ﴿ فمن شـاء فليؤمن ومـن شاء فليكفر ..﴾ [سـورة الكهف الآية ٢٩] ، ودعـا إلى الحـفـاظ على الـعـهـود وحـفظ أرواح الناس وأمـوالهم وأعراضـهم ، ورتب أشـد العقـوبات الدنيـوية والأخروية على من يمس أو يعتدي على هذه الأشياء .
رابعاً : لقـد لا حظنا أن بعض من مـارسوا الإرهاب والتطرف هم إمـا نتاج بيـئة غربـية ، أومخـاض مناهج أجنبـية .. فـهل نتهم منـاهجهم بتـفريخ الإرهاب أو نبـذ التسامح ، أو التوجه إلى التطرف ! .

إن الإرهاب ، والتطرف والغلو مـسـالك لها أسـبابهـا

الفكرية الخاطئة ولها دوافعها الاجتماعية والاقتصادية والعدوانية الذاتية .

خامساً : تبين أن عدداً كبيراً من الذين تم قيامهم بأعمال إرهابية داخل المملكة العربية السعودية مستوياتهم التعليمية متدنية جداً ، وربما لو ارتقى مستواهم التعليمي ، واستفادوا من مناهج التعليم لما أوقعهم جهلهم في أعمال التخريب والإرهاب .

سادساً : إن هؤلاء الإرهابيين المحسوبين على المسلمين أبعد ما يكونون عن مناهجنا ، لقد تأثروا – بكل أسف – بما يناقض ما ورد في مناهجنا ، ومن هنا كان فكرهم التكفيري الضال الذي قادهم إلى الأعمال الإجرامية .. أجل لقد تأثروا بطروحات فكرية وافدة منْحرفة مثل كتب " أبي محمد المقدسي " الأردني ذي الأصل الفلسطيني ، مثل كتابه " ملة إبراهيم " الذي كفّر فيه الناس والحكومات الإسلامية ، ولقد اعترف هؤلاء الإرهابيون بذلك ، فأولئك الذين قاموا بتفجيرات العليا بالرياض عام ١٤١٦هـ اعترفوا بألسنتهم " أنهم كانوا يُهرّبون كتب أبي محمد المقدسي ويقرؤونها "– صحيفة الشرق الأوسط ١٣/٣/١٤٢٤هـ .

سابعاً وأخيراً : هؤلاء الإرهابيون يستخدمون التقنية الحديثة في أعمالهم الإجرامية كما شاهدنا في

" الموجودات " التي كانت معهم والتي عرضتها بيانات وزارة الداخلية السعودية بالصور فهل - بعد ذلك - نقلّص أو نغيّر أو نلغي مناهج الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من مناهج المواد العلمية خشية أن يكون تعلمها سبباً في وقوع الإرهاب ؟.

وأختم هذا الفصل بالقول : إن المزيد من التنوير بتعاليم الإسلام الصحيح عبر المناهج التعليمية هو الذي يمنع ويحصن الناشئة من الوقوع في شرّ أعمالهم ، وعدم الانسياق وراء الجهل أو وراء من يضلونهم بسبب ضحالة تعليمهم ، وقلة علمهم بالدين الحق الذي ينتمون إليه، أما مسألة مراجعة وتطوير المناهج ، ووضع ما يناسب إدراك الطلاب وفهمهم حسب سنهم ومراحلهم ، وكذا زيادة جرعة ما يجلو سماحة الإسلام وأهمية تعايش المسلم مع غيره فهذه مسألة أخرى تأخذ بها بلادنا دون أي تأثير من هذه الأحداث .



العمل الخيري الإسلامي والاتهام بالإرهاب..!!

لا يزال ذلك المشهد الباعث على الشجن ماثلاً أمام عيني على الرغم من مضيٍ سنوات طويلة على رؤيته ذلك المشهد هو رؤية طفل مسلم في إحدى الدول الأفريقية. يقلب " أكوام الزبالة " باحثاً عن قطعة خبز .. أو بقايا أكل .. وكنت وصديق معي قد خرجنا لتونا من المسجد بعد صلاة الجمعة في تلك المدينة الأفريقية .. واقتربنا من هذا الطفل الذي كاد " الجوع " أن يلقي به أرضاً.. ! .

وموقف آخر بالغ التاثير يستجلب الدمع وقد سمعته من أحد رجال الخير المسلمين هو د/ عبد الرحمن السميط رئيس لجنة مساعدة مسلمي أفريقيا بالكويت رواه – قبل سنوات – في محاضرة له في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض ، عن أوضاع المسلمين بأفريقيا وعن الحالة البائسة لكثير منهم في عدد كبير من الدول الأفريقية .. ! .

لقد روى هذا الموقف – ضمن مواقف كثيرة – وهو موقف يفتت قلب أقسى الناس ، حتى ولو كان حجراً صواناً لقد روى أنه في إحدى رحلاته لتفقد أحوال المسلمين في إحدى الدول الأفريقية ومساعدة فقرائهم أنه في الليلة الأولى التي وصل إليها ، نام في شقة استاجرها – وكان الجو قارس البرودة – ولما قام لصلاة الفجر ونزل إلى

الشارع ماذا وجد ؟ وجد رجلين ميتين عند باب العمارة من شدة الجوع وصلف البرد ، يقول فهرعت إلى عمدة القرية أسأله واستفسر منه : كيف تم ذلك فقال لي عمدة القرية : لا تأس كثيراً هذا أمر طبيعي فكل ليلة يموت أكثر من هؤلاء فهم ليس لديهم غذاء أو كساء أو ماوى ومثلهم - عشرات المئات - يقول د. السميط قلت : إننا جئنا لمساعدتهم فقال : تساعد من وتترك من ؟ إن كنت تريد مساعدتهم ومساعدتنا فأهم شئ هو مساعدتنا في " حفر القبور " لأمثال هؤلاء حيث إن أهل هذه القرية لا يستطيعون " حفر القبور " لموتاهم لضعف بنيتهم وأمراضهم وعدم وجود الآلات التي تساعدهم على ذلك .

تذكرت هذين المشهدين وأنا أقرأ وأسمع دعوات " الغرب " لنتخلى عن مساعدة وإنقاذ أمثال هؤلاء الجوعى من أطفال ونساء وشيوخ من إخواننا في العقيدة وفي الإنسانية في أفريقيا وفي غيرها! .

ترى عندما نتخلى عن هؤلاء ، ولا نتصدق عليهم .. ولا نرحم ضعفهم.. ولا نُساهم في التخفيف من معاناة عيشهم وإنقاذهم ترى من سوف يقف معهم ويساعدهم وينقذهم ؟!.

هؤلاء المسلمون الضعفاء الذين لا يملكون ضرورات الحياة فضلاً عن كمالياتها هل ندعهم يموتون ونحن

قادرون على إنقـاذهم .. إنه إذا كان " الغـرب " ينقم علينا مســاعدتهم ويريد منعهـا عنهم، فمن يحاج الله عنا أمـامهم يوم القيامة ؟! .

إنني لم أجد أغرب من هذا الاتهام ! .

هل بلغ الأمر بالغرب وصناع القرار فيه ووسائل إعلامه أن يسعى إلى إيقـاف جداول الخيـر عن المحتـاجين إليه في العالم الإسلامي والعالم بأسره ! .

هل إطعام جائع ، أو إنقاذ مـريض ، أو كسوة عار يمكن أن يوصف أو يوصم بالإرهاب ! .

هل بلغ الخـــوف بالغرب أن يســـكن الرعب حتى مـن " دولار " يدفع من أجل مـســح دمـعـة يتـيم ، أو نزع آهة بائس أو تخفيف أنة مريض .. ! .

إنني لأعجب من انقلاب المفاهيم ! .

أين حـقـوق الإنســان التي يتنادى لهـا ومن أجلهـا أهل الغرب والشرق ، وأهل الغرب خاصة ! .

هل حـقوق الإنســان مقـصورة على أن يسكن الإنســان الغربي في قصر ، والآخر المسلم أو من العالم الثالث يسكن في قبر .

وهل حقوق الإنسان تقتضي أن ياكل الإنسان الغربي أو الشرقي" الـكافيار " ، ولا يجـد فقـير مسلم في هـذه الدنيا

رغيفاً يسد به خواء الأمعاء .

والسؤال الأهم ! .

هل ذهاب " دولار " - خطأ - إلى غير سبيله الخيري في الماضي يجعلنا نوقف عمل الخير ، ونظل نتفرج على بؤساء المسلمين يموتون فقراً أو مرضاً أو عرياً أو تجمداً أو إهمالاً .

ترى عندما تسقط طائرة عن طريق الخطأ والخلل .. هل يتم منع كل الطائرات ، وإيقاف النقل الجوي ! .

وهل عندما يقع خطأ في عملية جراحية بالقلب هل يتم ترك الناس يموتون بأمراض القلب خشية أن يقع خطأ عند إجراء عملية قلب لمريض آخر ! .

إن معالجة الخطأ لا تعالج بخطأ أكبر ! .

وإن وقوع خطأ في عمل الخير يجب ألا يمنع جداول الخير .

إن المعالجة لوقوع الأخطاء تكون بالحكمة والعقل والمراقبة ، والتاكد - بكل الوسائل - أن التبرعات تذهب إلى طريقها الخيري والإغاثي .

إن " المملكة العربية السعودية " عالجت هذا الأمر ، حيث أضحت تشرف على مؤسسات العمل الخيري وتراقبها بحيث لا تذهب تبرعاتها إلا لأهدافها الإنسانية في إغاثة

الجوعى وعلاج المرضى ، وكساء الأيتام وجوانب الخير الأخرى .

إن الأولى بالعالم الغربي أن يساند العمل الخيري النابع من دول العالم أو الدول الإسلامية بدلاً من محاربته وملاحقته بتهم الإرهاب لأن العمل الخيري بقدر ما يحقق إنسانية الإنسان ويحفظ حق الإنسان في العيش الكريم فإنه يصب في منع الإرهاب الذي يكافحه الغرب والذي من أجل عيونه - أعني الإرهاب - إن كان له عيون والأصح أنه له مخالب - أصبح حتى العمل الخيري الصرف مطلوباً إيقافه .

" إن الجوع كافر " كما جاء في الأثر ، وعلى العالم الغربي أن يدرك هذه الحقيقة ! .

وإن على الغرب أن يدرك حقيقة أخرى مهمة في مجال العمل الخيري تلك هي أن " إسلام المسلم " لا يكتمل إلا بمساعدة المسلمين وكل المحتاجين في هذا الوجود عامة فرسول الإسلام يقول : " ليس منا من بات شبعان وجاره جائع " .. لقد نفى رسول الإسلام أن يكون هذا الجار مسلماً إذا لم تخالط قلبه الرحمة ، وينقذ جاره من غول الجوع سواء كان مسلماً أو غير مسلم .

بل وصلت رحمة الإسلام إلى إطعام الجائع من الحيوان

فقد ورد في الحديث النبوي : ﴿ في كل كبد رطبة أجر ﴾ .

إن عمل الخير أحد ثوابت الإسلام ، وأحد مسلمات المسلم التي لا يستطيع أن يتخلى عنها وإلا فإنه يضحي غير مسلم فالزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة ، وهل يتخلى المسلم عن إسلامه بسبب تهم عامة تلقي بظلالها على توجهه إلى الخير وتحقيق إنسانيته فضلاً عن واجبات دينه.

إن علينا في عالمنا العربي والإسلامي - صناع قرار ورجال أعمال وإعلام ومؤسسات خيرية - أن نوضح هذه الحقائق للغرب لندرأ تهمة الإرهاب عن العمل الخيري الإسلامي الذي أصبح محاطاً بالشك والشبهات ، بل وصل الأمر إلى المطالبة بمنعه ، واتهام القائمين عليه بالإرهاب .. إن التعميم تهمة جائرة !! .

إن الآخرين في الغرب إذا كانوا يعملون بحوافز العطف والشفقة فنحن - فضلاً - عن ذلك نعمل الخير لأن هذا في صلب عقيدتنا بل لا يكتمل ديننا إلا به ، ونحن لا نرتجي الذكر الحسن في الدنيا - وإن كان هذا لا غبار عليه - لكن المسلم يتطلع إلى الهدف الأسمى وهو الأجر والمثوبة من الله في الحياة الآخرة الباقية مصداقاً لقول الله سبحانه : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

[سورة البقرة آية : ٢٧٤] ، فهل بعد هذا ياتي من يطالبنا بعدم عمل الخير والإحسان إلى المعوزين والمرضى ، ولعل الله كفى بلادنا كثيراً من الشرور والمصائب والنكبات بسبب " نهر الخير" المتدفق من أرض هذا الوطن قيادته وإنسانه ، ألم يقل رسولنا الذي بعثه الله رحمة للعالمين : " إن صنائع المعروف تقي من مصارع السوء " .

نعم لعمل الخير..

لا لأي " دولار " أو " ريال " يذهب لدعم إرهاب ، فنحن والغرب في مكافحة الإرهاب سواء ، وقد اكتوينا بناره ، كما اكتوى الغرب بأواره .

جعل الله بلادنا أبداً نهار إشعاع وأنهار عطاء .

اتهام الإسلام بتهميش المرأة وعدم إعطائها حقوقها

أتوقف هنا أمام قضية اتهام الدوائر الإعلامية والسياسية في الغرب للإسلام بنقص حقوق المرأة المسلمة وعدم إتاحة الفرصة لها للمشاركة في الشأن الاجتماعي والثقافي .

وهذه التهمة تنفيها نصوص الوحيين من جانب ، ومن جانب آخر واقع ما تمتعت به المرأة المسلمة على مدى التاريخ الإسلامي ، وإذا ما ندّ أحد من المسلمين في عدم فهم حقوق المرأة في الإسلام أو عدم تطبيقها أو إنقاصها فهذا شذوذ يؤكد قاعدة احترام الإسلام للمرأة.

ففي النصوص أكتفي بقول الله في دستور المسلمين : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن ﴾ فهل هناك نص حاسم في المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات أبلغ من هذا النص من خالق البشر نساء ورجالاً ، ومن الحديث قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ النساء شقائق الرجال ﴾ والشقيق يعني المثيل في الواجبات المطلوبة ، والحقوق المفروضة .

إن الإسلام أعطى المرأة كامل حقوقها ، وحفظ كرامتها بما لم يفعله أي دين أو دستور آخر ، وذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

وأشيـر هنا - فقط - وبإيجـاز إلى بعضهـا من خلال الحقائق التي أنقلها من نصوص القرآن والسنة .

لقد أعطاها حـقها في التـعليم قبل أي حضـارة أخرى فـرسـول الله - صلى الله عـليـه وسلم- يقـول : ﴿ من كانت له جارية فـعلمها فأحـسن إليها ثم أعتقـها كان له أجران ﴾[صحيح البخاري] . وليس هذا فحسب فرسول الإسلام قـبل أن يودع هذه الدنيـا أوصى بها واتقـاء الله فيـها وفي معاملتـها قبل أن تطالب نسـاء الغرب بذلك إذ يقـول صلى الله علـيه وسـلم: ﴿ نسـاؤكم عـوان لديكم أخذتموهن بأمـانة الله واستـحللتم فروجهن بـكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا ﴾ .

وأعطاها حـقـها في اخـتيار زوجها سـواء كانت بكراً أو ثيبا فـامر أن تستاذن المرأة قـبل زواجها ، ولا يتم ولا يصح الزواج إلا بموافـقـتهـا ، بل إن الرسـول صلى الله عليه وسلم لم يـجز زواج المرأة التي شكت إليه أن وليـها زوجـها بمـن لا ترغب فجـعل أمـرها بـيدها بالـبقـاء أو الفراق ، وأعطاها حـقها في اسـتشارتهـا وإبداء رأيها بل والأخذ به في شؤون الحياة ، وقـصة استـشارة الرسول - صلى اللـه عليـه وسلم - لأم سـلمـة وأخـذه بـرأيهـا

معروفة .

بقي أهم حق لها وهو : الهدف الأغلى الذي يكد ويكدح من أجله كل البشر في هذه الدنيا منذ عهد الحجر إلى زمن القمر ألا وهو " السعادة في الحياة " ، وقد ضمن الإسلام للمرأة تحقق هذا الهدف ومساواتها بالرجل المسلم إذا حققا شروط ذلك فالله خالق الذكر والأنثى يقول في القرآن الكريم : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [سورة النحل آية : ٩٧] .

هذه نماذج من الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة والتي فصّلها علماء الإسلام وأنصف في تناولها مفكرو الغرب المعتدلون .

• وأما الواقع التطبيقي فنظرة واحدة إلى تاريخ الحضارة الإسلامية نجد المرأة المسلمة لم تغب عن المشاركة في مختلف مناحي الحياة وفق ضوابط الشريعة التي بقدر ما أعطت لها حقوقها حرصت على حفظ كرامتها .

إن الدين – بوصفه معتدلاً – لم يقف يوماً أمام إعطاء المرأة حقها ، وممارسة دورها في خدمة مجتمعها ، ومشاركتها في منظومة تنمية أوطانها ، بل هو أول دين

أعطاها وأعاد لها حقوقها وكـرامتها بشهادة كل المنصفين من المسلمين وغـيـر المسلمـين ، وهاهي المرأة المسلمـة في البلاد الإسلامية تمارس حياتها وتخدم وطنها وتعمل في التطبيب والتجارة والتعليم والميدان الاجتماعي وغيره .

وإذا كـان البعض يـرى إشكالية الحـجـاب « وأقصـد حجاب الوجـه » فهذه مسـألة خلافية بين العلمـاء فمنهم من رأي تحـريم كـشف الوجـه مـعـتـمـداً عـلى بعض النصـوص ، ومن باب سـد الذرائـع ، ومنهم من رأى حل ذلك معـتمداً أيضـاً على بعض النصوص ، وقـد كان أهم نص ورد في هذه القضية الفقـهية قول الله تعلى : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظـهر منها ﴾ [سورة النور آية : ٣١] فبعضهم رأى أن ما ظهر منها هو زينتها الظاهرة كالثياب والرداء كما قال الصحابي ابن مسعود – رضي الله عنه– " تفسـير الطبري" ، وبعـضهم رأى أن الاستـثناء هـنا المقصـود به " الوجه والكفين " ، كـما ورد في أحـد كتب التفسير المعتمدة " تفسير ابن كثير " حيث نقل رأي حبر الأمة الصحابي ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي قال في تفـسيـر " ما ظـهر منهـا " في هذه الآية : « وجهـها وكفيها والخاتم] ، وهذا الاختلاف في الأمور الفرعية بين الصحابة أو بين علـماء الإسلام يحسب لسمـاحة الإسلام

ولا يحسب عليه ، واتفاق العلماء حجة ، واختلافهم رحمة كما هي القاعدة الشرعية .

إن الذي لم يختلف عليه أحد أن تلبس المرأة المسلمة لباساً ساتراً واللباس الساتر لا يكون معيقاً ، حيث الشرط الأساسي في هذا اللباس أن يكون ساتراً ، ولا يشترط أن يكون هذا اللباس عباءة أو غيرها كما يفهم البعض بل المقصود هو أي لباس ساتر للمرأة ، وفي فتوى صريحة للعلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - أبان ذلك بوضوح لا لبس فيه حيث يقول سماحته: [الستر هو المطلوب سواء بعباءة أو بغيرها وإذا كان عند مجتمعك ثياب ضافية يلبسونها كأجلّة وأشباهها يتسترون بها حصل المقصود وليس من شرطه العباءة ، فالناس لهم أزياء ولهم عادات] .

إن الإسلام أراد بالحجاب الساتر للمرأة تكريمها والحفاظ عليها وعلى حيائها - وما قيمة المرأة بلا حياء الأنوثة - وحجابها لا يحجب عقلها وغطاؤها لا يغطي عطاءها ولا يحجز منجزها .

وقبل ذلك وبعده : إذا كانت المرأة المسلمة قد رضيت بما أمرها به دينها واقتنعت به ، ورأت هي نفسها لا

غيـرها أنه غير عـائق لها عن أداء رسالتـها خارج بيتـها فكيف ننازعها في قناعتها ، تقول - إحدى النساء المثقفات - وهي كاتبة سعودية : « الحجاب هو درء لمفاسد كثيرة .. لا تجـد فـيـهـا المرأة المسلـمـة أي حـرج والدين يضع مصلحة المجتمع الإسـلامي فوق مصلحة الفرد الواحـد » " إيمان القحطاني - صـحيفة الوطن السـعودية ١٠-٣-١٤٢٤هـ " ، ويقول أحـد مفكري الغرب المعـاصرين وهو المفكر الفـرنسي " فرانـسو بوفـا " : « الحجـاب لا يمنع المرأة من العلم ولا من العمل » .

لقـد بسطت القول قـليلاً في هذه المسـألة لأرد - وإن كان باختزال ورؤوس أقلام - على ما يثار حول تهمة أن الإسـلام وقف أمـام أداء المرأة رسـالتـهـا في الحـيـاة والمجتمعات .


بعض الآليات الإعلامية المطلوبة لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين

هذه بعض " الآليات " التي يمكن أن يأخذ بها المسلمون لمعالجة الانحراف الفكري وتجفيف منابع الإرهاب ، ثم بالتالي الوصول إلى الآخرين عبر كافة المنابر الخارجية لتوضيح حقيقة الإسلام وتسامح المسلمين ونفي تلك الإشكاليات والتهم التى رُمي بها الإسلام والمسلمون في الحقبة الماضية إلى وقتنا الحاضر.

ومن هذه الآليات والوسائل :-

- أولاً : إن علينا في أقطارنا العربية والإسلامية أن نوظف الإعلام توظيفاً قوياً وسليماً في الرد على هذه التهم تماماً كما وظّفه واستخدمه غيرنا ، وأن ندرك أن الإعلام هو لغة العصر ومطية الأمم للوصول إلى أهدافها ودفع التهم عنها ، وحسبنا أن نعرف أنه جاء في آخر إحصائية عن وسائل الإعلام في أمريكا : امتلاك اليهود «٧٠» صحيفة ومجلة شهيرة من أكثر المطبوعات قراء وانتشاراً في الولايات المتحدة، وأن لديهم أربع شبكات تلفزيونية مؤثرة في الشعب الأمريكي.

- ثانياً : من أهم الآليات الإعلامية التي تجب المبادرة للأخذ بها ، المبادرة بإنشاء قنوات إعلامية باللغة الإنجليزية تصل وتخاطب الإنسان الغربي ، وتطرح الإسلام بصورته الصحيحة وتكشف له حقيقة إيمان الإسلام بمعايشة معتنقيه لغيرهم .

- ثالثاً : شراء الصفحات في الصحف الأجنبية

المشهورة مثل " النيويورك تايمز " التي لها تأثير على الرأي العام وعلى صناع القرار ، والاستفادة مما يطلق عليه بالمفهوم الإعلامي " شراء أوقات وساعات " في القنوات الفضائية الشهيرة مثل " CNN وغيرها بحيث تعرض فيها المواد والبرامج التي تكشف سماحة الإسلام ومحاربته للإرهاب ، وتصحيح صورة المسلمين أمام الشعوب الغربية .

رابعاً : عقد ملتقيات ومؤتمرات في الدول الغربية يُدعى إليها علماء ودعاة ومفكرون مسلمون وعرب وأجانب سواء كانوا مسلمين أو متعاطفين أو حتى مناوئين لقضايا الأمة الإسلامية لتوضيح صورة الإسلام أمام غير المسلمين، وبيان المستفيد من هذه الأحداث كاشفين: أن المسلمين هم من أكبر المتضررين منها ، وأن الشاذين الذين قاموا بهذه الأعمال الإجرامية من المنتسبين للإسلام هم مجرد أدوات حاقدة لجهات ومنظمات منحرفة ، وقد أوقعوا الضرر على المسلمين قبل أن يوقعوه على غير المسلمين .

خامساً : عقد ندوات داخل دول العالم الإسلامي يشارك فيها علماء ومفكرون وإعلاميون مسلمون ، لبلورة تعاليم الإسلام بكل سماحتها ومعايشتها للعصر لجلائها أمام بعض المسلمين أنفسهم وبخاصة الأجيال المسلمة الجديدة لشرح سماحة إسلامها ، وتحصين الناشئة من أفكار الغلاة المنحرفين من مدعي العلم المنتسبين إلى أمتهم.

• سادساً : في الشان الداخلي لترسيخ الأمن والاستقرار والوحدة يلزم بيان أن الإسلام كان الأكثر حرصاً على وحدة الأمة وعدم الخروج على الأنظمة وعلى الحاكم الذي يجمع الناس ويوفر لهم الأمن في أوطانهم وتبيان أن ذلك واجب شرعي أوجبه الإسلام في كل الأحوال لأن في تفرق الأمة وعدم اجتماعها على قيادة واحدة تشتت جمعها ، وضعف شانها ، وتمزق أمنها والله سبحانه يقول : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٣] وقال : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤٦] وقال ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [سورة النساء آية : ٥٩] والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول :﴿ من ولي عليه وال فرآه فاتى شيئاً من معصية الله فليكره ما ياتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة ﴾ ! .

إن الإسلام ـ حرصاً على وحدة الأمة ولما يعلمه رسوله من المآسي التي تحدث بسبب الفرقة والفوضى ـ أمر بعدم نزع يد الطاعة من الولاة حتى لو حصل منهم معصية لا رضاءً بها ولكن لأن في الخروج عليهم ـ ما لم يروا كفراً بواحاً ـ من التمزق والخوف والفزع وإسالة الدماء

واستباحة الحرمات ما الله به عليم . وكم رأينا من المآسي والحروب الداخلية في هذا العالم بسبب تفرق الأمة واختراق وحدتها الوطنية .

سابعاً : على المناهج التعليمية في العالم الإسلامي – بعد مستجدات العصر – أن تركز على إبراز " سماحة الدين الإسلامي " وغرسها في العقول الناشئة ، وأن تتصدى لمهمة الجهل بالدين ومقاصده .

إن الجهل بالدين لا يقل ضرراً عن هجره ففي كليهما أخطاء وأخطار !.

وإن كان هجر الدين معلومة آثاره فإن الجهل بالدين ومبادئه والإفتاء من غير علم من المنتمين إليه لهو من أهم أسباب الفتنة في العالم الإسلامي والتي هي أشد من القتل ، وفي تاريخنا الإسلامي أنصع دليل، إذ أنه بسبب الجهل والغلو حصلت الفتن التي كانت بداية الشرور على هذه الأمة.. يقول الشيخ العالم صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية في تاصيل علمي ، في المحاضرة التي ألقاها بالمدينة المنورة ونشرتها صحيفة الجزيرة في ٢٩/٣/١٤٢٤هـ : « السبب الأول لظهور الفتن هو الجهل بالدين وقواعد الشرع والحقوق ؛ لأن من عنده جراة غير منضبطة يتجرأ بجهله أن يخوض بالفتنة ويعين عليها .. فإذا كان الكتاب والسنة دواء فإن صرفه

وفهمه يكون من العالم الرباني لا من فهم آحاد الناس) .

وكم عانت وتضررت أوطاننا وأمتنا من آثار الجهل بالدين سواء عبر طروحات جهال الدعوة أو بسبب فتاوى أدعياء الفتوى ومتسلقيها جهلاً أو قصداً دون الاستناد إلى علم صحيح ، والرجوع إلى العلماء المحققين الربانيين .

إن قيام المناهج التعليمية برسالة التنوير بتعاليم الدين ومبادئه من شانه أن يطرد الجهل الذي كم جر علينا وعلى غيرنا من ويلات .

• ثامناً : هذا المقترح ورد إلى ذهني وأنا أعدّ هذه الرؤية الإعلامية في هذا الكتيب ، فقد كنت عند الحديث عن أيٍ فكرة أو تهمة أبحث وأتأمل في كتاب الله ، وأحاديث رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – لتعضد أفكار هذه الرؤية وتجلوها، ولقد وجدت في الوحيين من النصوص الكثيرة " آيات وأحاديث " من تجسيد سماحة الإسلام والتعايش مع الآخر، والإيمان بالتعددية ما يكفي دون أدنى سطر أكتبه، ولذا فإنني أدعو إلى سرعة نشر وتوزيع ترجمة معاني القرآن الكريم وأحاديث الرسول خاصة المتعقلة بشان التهم التي يرمى بها الغرب الإسلام، وحسبها إقناعاً للآخر فهي من كلام خالق البشر ومدبر حياتهم ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾ [سورة النساء آية : ٨٢] ، ومن كلام رسول الإسلام الذي بعثه الله لنشر ظل السلام، وأضواء الأمان

في فضاء هذا الكون ، وفي قلوب الناس جميعاً .

تاسعاً : هذه الآلية تتجه إلى الداخل الإسلامي ، إذ أن على المنابر الإعلامية والتعليمية والمسجدية في المجتمعات العربية والإسلامية أن تنشر وتشيع ثقافة التعايش مع الآخر ، وإبانة أن الخطاب الدعوي الإسلامي مؤسس على الحكمة والموعظة الحسنة بنص القرآن الكريم ، فضلاً عن كشف نبذ الدين الإسلامي للعنف والغلو أو الإساءة للغير مسلماً أو غير مسلم ، وفي الوقت ذاته بيان خطأ وخطل إقامة الخطاب الإسلامي على الجهل ، أو الأخذ من الجاهلين سواء تم عبر دعوة غير منضبطة ، أو فتوى غير مسؤولة ، أو رأي مبني على المتشابه الذي يتبعه من في قلبه زيغ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما جاء في القرآن الكريم ، ولهذا فمن الخطأ الاستدلال بالمتشابه منه إلا من قبل الراسخين في العلم كما قال الشيخ صالح آل الشيخ في المحاضرة السالف ذكرها .

عاشراً : إن دور منابرنا المقروءة والمسموعة والمرئية في هذه الفترة العصيبة كبير جداً ، وعلينا توظيفها توظيفاً واعياً راشداً يعالج أولاً أسباب التطرف والغلو الذي يقود إلى فكر الإرهاب ، وثانياً يكشف عن الفكر الإسلامي الذي يقود إلى التعمير بدلاً من التدمير، ومن جانب آخر فإن على هذه المنابر أن تسهم من خلال طروحاتها المستنيرة في تخفيف العداء لنا من الآخر

الأقوى بدلاً من تأجيجه خاصة وأن وطننا منبع الإسلام ، يواجه - حماه الله - صنوف الاتهامات والتحديات والحملات .

إن على المنظمات العربية والإسلامية وكافة المنابر في بلادنا وفي العالم الإسلامي أن تتبنى هذا الطرح المعتدل وتدعو إليه ، وتسعى إلى نبذ الخطاب المتشدد الذي يضر أكثر مما يفيد ويضع أكثر مما يرفع .

- حادي عشر وأخيراً : تفعيل ودعم المؤسسات الإسلامية والعربية" كرابطة العالم الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية « كير » في أمريكا الذي يقوم بجهود موفقة في كشف صورة الإسلام والدفاع عن المسلمين رغم إمكاناته المتواضعة .

إن دعم هذه المؤسسات الإسلامية الواعية والمستنيرة داخل البلاد الإسلامية وخارجها من شأنه أن يسهم في تصحيح صورة العرب والمسلمين ودفع التهم عنهم ، وتقديم خطاب حضاري ينطلق من تعاليم الإسلام ، وقيم الأمة العربية .

حفظ الله إسلامنا وأمتنا وأوطاننا .

وفي الختام نور

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾

(سورة هود : آية ١١٨ ـ ١١٩)